خادم الحرمين الشريفين :
المملكة ترفض أن تتحول شعيرة
الحج إلى تحقيق أهداف سياسية

الرابطة

Alrabetah

السنة ٥٣ العدد ١٠٠ محرم ١٤٣٨هـ - أكتوبر ٢٠١٦م

مؤتمر «الإسلام رسالة سلام واعتدال»

الرابطة
شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة ٥٣ العدد ١٠٠ - محرم ١٤٣٨هـ - أكتوبر ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

هو سماكم المسلمين من قبل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الولاء العام للمسلمين هو النهج الذي سارت عليه رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها قبل أكثر من خمسين عاماً، وذلك انطلاقاً من مبدأ أن «أمة الإسلام أمة واحدة». وظلت الرابطة من أول يوم ترعى جهوداً مشتركة على تحقيق وحدة الأمة، والتذكير المستمر للعلماء والمثقفين بواجبهم في تنشئة جيل مؤمن بالتعاون والتضامن واجتماع الكلمة.

وظلت مواقف الرابطة والبيانات التي تصدر عنها مطّردة في نبذ التعصب الممقوت، فقد قرر المجمع الفقهي الإسلامي في دورته العاشرة عام ١٤٠٨هـ أن الاختلاف الاعتقادي مصيبة جرَّت كوارث وشقت الصفوف، ويجب ألا يكون. أما الاختلاف الفقهي في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته، ولله سبحانه وتعالى في ذلك حكمة بالغة ومنها الرحمة بعباده وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية، جعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها.

وكان موسم حج عام ١٤٣٧هـ ، امتدادًا لجهود الرابطة في هذا المسعى، فقد تضمنت كلمة رابطة العالم الإسلامي في حفل الاستقبال المقام بالقصر الملكي بمشعر منى لهذا العام ١٤٣٧هـ، تأكيد هذا النهج والتحذير من أي شعار، أو اسم، أو وصفٍ غير الإسلام، وأننا عندما نَخْتَصِرُ سنةَ الإسلام وجماعةَ المسلمين، في أوصافٍ لأشخاصٍ أو انتماءاتٍ أو مدارسَ معينة، فإننا نَخْتزل الإسلامَ الجامع، الإسلامَ الحاضن، إسلامَ السعة والامتداد والتاريخ، في مفاهيمَ محدودة، وأفكارٍ ضيقة، تفتح على الدينِ ثغرةً، تتسللُ منها المصالحُ والأهواءُ، وأن سبيلَ رابطتهم الإسلامية، هو إيقاظُ العقولِ المسلمة، واستنهاضُها نحو فكرٍ حُرٍّ مُستقل وواعٍ على هدي الكتاب والسنة. وانعقد في مقر الرابطة بمشعر منى مؤتمر « الإسلام رسالة سلام واعتدال »، حضرها كبار الشَّخصيَّات الإسلاميَّة بمشاركة «الهيئة العالمية للعلماء المسلمين».

وقد ركزت الكلمة الافتتاحية لمعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى على أهميَّة تعزيز أسباب التلاقي والتآخي الإسلامي، وترجمةِ الرسالة العالمية والسلمية للإسلام في بُعدها الوسطي واعتدالها المنهجي على سلوكنا جميعاً أفراداً ومؤسسات.

وكان من أهم نتائج هذا المؤتمر التحذير من أيّ تكتُّلٍ يَخْرج بالمسلمين عن رايتهم الجامعة ليُفَرِّق كلمتهم ويَخْتَرقَ صفهم، وينافي رسالتهم في سِلْمها واعتدالها، مُشيرين إلى أنَّ تاريخَ الإسلام لم يُسجِّل أي تجمع لإقصاء أيٍّ منهم عن سُنَّتهم وجماعتهم، وأن الانجرارَ لمثل هذه المزالق يمثل سوابق وخيمة على الإسلام وأهله، وأن لتصنيفه المُحْدَث لوازمَ خطيرةً هي شرارة التطرف في خطاب التكفيريين، وأن «حِكمةَ الإسلام» ورسوخَ علمائه ووعيَ دعاته ومفكريه فوق هذا، وعلى حذرٍ من تبعاته.

وأكد المؤتمر على أن الأسماء المتداولة لبعض المدارس العلمية إنما هي مناهج وصفية فحسب، وليست بديلاً عن اسم الإسلام ومظلته الجامعة، وأن التوسع في تلك الأسماء من قِبَلِ أهلها أو غيرهم يُرَسِّخُ المفهوم الخاطئ حولها، فضلاً عن مُزاحمتها لاسم الإسلام الذي سمانا الله به لا بغيره، وأن أفراد الأمة لا حاجة لهم بالتوسعات المتكلفة في شؤون الدين التي لا يُحيط بجدلياتها إلا من تعمق في سجالاتها، وأهلُ الإسلام على دينهم الحق دون أن يكونوا مكلفين بمعرفة تلكم الاستطرادات والأسماء المحدثة، فضلاً عما فيها من تعكير صفو الدين في نفوسهم والتأثير على نقاء فطرتهم وتآلفهم فيما بينهم.

ولذلك فإن المسلمين ليسوا بحاجة إلى أن ينسبوا أنفسهم بزيد أو عبيد، أو يربطوا النشء بهذا القبيل أو بذاك:

أبِي الإسلامُ لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

غير أن أهل الأهواء بما يريدونه من تنازع وتنابذ في الأمة يؤججون الاستقطابات بين المسلمين وخاصة في مجال الانتماء العقدي والسياسي، ويسعون في تقسيمهم؛ تارةً بدعوى الإسلام السياسي، وأخرى باسم الإسلام الشعبي والإسلام المؤسسي. وقد أفلحوا في تحويل هذه التقسيمات المصطنعة إلى انتماءات وتعصبات تزرع الفتن السياسية والمذهبية.

من أجل هذا كان التركيز في بيان المؤتمر على نبذ خطاب الكراهية والتحريض، وأن المسلم يسعد بالخير للناس أجمعين، وأن دعوته تسير على هدي كريم من قول الله تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»، وقوله تعالى: «ادعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمة والمَوعِظَة الحَسَنَة»، وقوله سبحانه: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا» وقوله عليه الصلاة والسلام: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق». وما انتشر الإسلام، وسرى في العالمين إلا بالعدل والإحسان، والكلمة الطيبة، والقدوة الحسنة، وتحرير العقول، وتأليف القلوب.

هكذا تعاهد أهل العلم والإصلاح الذين يريدون الخير للأمة ووحدة الكلمة، بدعوة الجميع للعودة إلى المنبع الصافي: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: « وما اختلفتم فيه من شيء فردُّوه إلى الله وإلى الرسول».

ومن المحفوظ المشهور عن رسولنا صلى الله عليه وسلم، قوله: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه».

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام
أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للإعلام والمكاتب والمراكز الخارجية
د. حسن بن علي الأهدل

مدير إدارة الشؤون الإعلامية
محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧
سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org
أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

خادم الحرمين الشريفين : المملكة ترفض أن تتحول شعيرة الحج إلى تحقيق أهداف سياسية أو خلافات مذهبية

أقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في الديوان الملكي بقصر منى في الحادي عشر من ذي الحجة ١٤٣٧هـ، حفل الاستقبال السنوي لأصحاب الفخامة والدولة، وكبار الشخصيات الإسلامية، وضيوف خادم الحرمين الشريفين، وضيوف الجهات الحكومية، ورؤساء الوفود ومكاتب شؤون الحجاج الذين أدوا فريضة الحج هذا العام.

المحتويات

المملكة ترفض أن تتحول شعيرة الحج إلى تحقيق أهداف سياسية..٤
الأمين العام: الرابطة ستكون داعمة للتحالف الإسلامي ضد الإرهاب.....٦
مؤتمر الإسلام رسالةُ سلامٍ واعتدال.....٨
أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن- مثالاً.....١٢
مواقف دعوية مع الداعية الشيخ نعمة الله (٣/١).....١٥
مساهمة الهند في التواصل العلمي بين الأقطار الإسلامية.....١٨
دور الإعلام العربي في التصدي لظاهرة الإرهاب.....٢٠
في ذكرى الهجرة.....٢٢

المحتويات

العدد: ٦٠٠
محرم ١٤٣٨هـ - أكتوبر ٢٠١٦م

في ذكرى الهجرة

هجـرة النبي صلى الله عليه وسـلم من مكة للمدينة حدث ضخم حمل الرسَالة الخَاتمـة إلى بيئةٍ جديـدة لا تَعرف الذّل أو العبوديَّـة ؛ فهي رسـالة الكرامةِ والعزّة والإباء .

غيّر هذا الحدث مجرى البَشـريَّة ، وحقَّق الحريّة للنَّاس جميعًا؛ فليس هناك مكان للطغاةِ الذين ناصبُوا الدَّعوة الإسـلاميَّة العـداء وأذاقوا أتباعَها ألـوان الأذى، لكي يظلّوا على دِين الآباءِ.

فقد الرسولُ الأمل في مكَّة ، فقد صيَّرها المشركون بيئة فاسدة؛ بسبب حصارهم الاقتصادي لأتباع النبي – صلى الله عليه وسلم - وإيذائهم ، وتعذيبهم ،؛ لذا فهي لا تَصلح لنشر تلك الدعوةِ الجديدة.

داخل العدد

نظرات في قصة نبي الله صالح عليه السلام ٢٤
عمر بن الخطاب والعلاقة مع الآخر ٢٨
اللغة رمز إنسانية الإنسان ٣١
تربية الطفل على الانتماء والمواطنة ٣٣
الصين الوطنية ٣٦
التطرف المنسوب للإسلام ليس هو السبب الأساسي للإرهاب بأوروبا ٤٢
ندوة " الحج بين الماضي والحاضر" ٤٥
المسجد النبوي .. إبداع العمارة الإسلامية ٤٩
قيمة النهي عن التبذير والإسراف وأثرها في التنمية ٥٤
ظاهرة الهدر الغذائي من منظور أخلاقي ٥٨
منتجات الحلال في الصين ٦١

"عمر بن الخطاب" والعلاقة مع الآخر

د. أحمد بوعود

منتجات الحلال في "الصين"

د.يونس الصيني

مساهمة الهند في التواصل العلمي بين الأقطار الإسلامية

محمد سكحال

خادم الحرمين الشريفين :
المملكة ترفض أن تتحول شعيرة الحج إلى تحقيق أهداف سياسية أو خلافات مذهبية

إعداد : د. عبد الله الشيعاني

أقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في الديوان الملكي بقصر منى في الحادي عشر من ذي الحجة ١٤٣٧هـ. حفل الاستقبال السنوي لأصحاب الفخامة والدولة، وكبار الشخصيات الإسلامية، وضيوف خادم الحرمين الشريفين، وضيوف الجهات الحكومية، ورؤساء الوفود ومكاتب شؤون الحجاج الذين أدوا فريضة الحج هذا العام.

وفي بداية الحفل صافح خادم الحرمين الشريفين - رعاه الله - فخامة الرئيس ممنون حسين رئيس جمهورية باكستان الإسلامية، ونائب رئيس جمهورية السودان حسبو محمد عبدالرحمن، ودولة رئيس الوزراء بجمهورية النيجر بريجي رافيني، ودولة رئيس الوزراء وزير الدفاع الأردني الدكتور هاني الملقي، ودولة رئيس الوزراء السابق بجمهورية مالي موسى مارا، ومعالي رئيس البرلمان التركي إسماعيل كهرمان، ومعالي رئيس الجمعية الوطنية (البرلمان) المالي إيساقا سيديبي، ومعالي رئيس مجلس النواب الإندونيسي الدكتور الحاج آدي قمر الدين، ومعالي رئيس مجلس النواب الجيبوتي محمد علي حُمد، ومعالي رئيس مجلس الشيوخ الأفغاني فضل هادي مسلمیار، ومعالي رئيس مجلس الشيوخ الماليزي داتو فيغنسوان، ومعالي رئيس مجلس الشعب المالديفي عبدالله مسيح محمد، ومعالي رئيس البرلمان الاتحادي السابق بجمهورية القمر المتحدة حامد برهان وكبار المسؤولين في عدد من الدول الإسلامية.

وقد بدئ الحفل الخطابي المعد بهذه المناسبة بتلاوة آيات من

القرآن الكريم.

وقد ألقى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - خلال حفل الاستقبال الكلمة الضافية التالية :

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

إخواني حجاج بيت الله الحرام ، إخواني المسلمين في كل مكان ، أيها الإخوة الحضور .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

في هذا اليوم يوم العيد الأكبر يوم النحر ، واقتداء بسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يواصل حجاج بيت الله الحرام تأدية مناسكهم في أمن وطمأنينة تحيطهم رعاية الله وتوفيقه، والمملكة تعتز وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما ، وهو شرف خصها الله به ، وقد سخرت المملكة العربية السعودية كل إمكاناتها لخدمة ضيوف الرحمن، والسهر على راحتهم ، وتوفير كل السبل لتسهيل أدائهم لمناسكهم بكل يسر وطمأنينة ، ونسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذلك ، والمملكة ترفض رفضاً قاطعاً أن تتحول هذه الشعيرة العظيمة إلى تحقيق أهداف سياسية أو خلافات مذهبية ، فقد شرع الله الحج على المسلمين كافة دون تفرقة .

إن الغلو والتطرف توجه مذموم شرعاً وعقلاً ، وهو حين يدب في جسد الأمة الإسلامية يفسد تلاحمها ومستقبلها وصورتها أمام العالم ، ولا سبيل إلى الخلاص من هذا البلاء إلا باستئصاله دون هوادة وبوحدة المسلمين للقضاء على هذا الوباء.

إخواني المسلمين :

إن الإسلام هو دين السلام والعدل ، والإخاء والمحبة والإحسان، وما يشهده العالم الإسلامي اليوم في بعض أجزائه من نزاعات ومآس وفرقة وتناحر يدعونا جميعاً إلى بذل قصارى الجهد لتوحيد الكلمة والصف، والعمل سوياً لحل تلك النزاعات وإنهاء الصراعات ، والمملكة تؤكد حرصها الدائم على لم شمل المسلمين ومد يد العون لهم ، والعمل على دعم كل الجهود الخيرة والساعية لما فيه خير بلداننا الإسلامية .

أيها الإخوة والأخوات حجاج بيت الله الحرام :

نرحب بكم في مهبط الوحي المملكة العربية السعودية ضيوفاً أعزاء ، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يقبل منكم حجكم ويغفر ذنوبكم ، وأن يعيدكم إلى بلدانكم سالمين غانمين ، وأن يعيد علينا وعلى الأمة الإسلامية هذه المناسبة العظيمة وهي في عز وتمكين ، كما نسأله عز وجل أن يسود الأمن والاستقرار بلداننا والعالم أجمع ، إنه سميع مجيب ، وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأمين العام مخاطباً الأمة الإسلامية:

الرابطة ستكون داعمة للتحالف الإسلامي ضد الإرهاب

ألقى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى كلمة رحب فيها بخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ وأصحاب الفخامة ، والسمو، والفضيلة ، والمعالي .

ورفع باسم رابطة العالم الإسلامي ، تهاني الشعوب الإسلامية لخادم الحرمين الشريفين ـ رعاه الله ـ ، أن بلغ المولى جل وعلا حجاج بيت الله هذا الموسم المبارك ، تحفهم الرعاية الكريمة، والأمن والطمأنينة، مبتهجين بأداء هذه الشعيرة ، منوهين بالأثر الميمون للخدمات التي قدمها ـ أيده الله ـ لهذه البقاع الطاهرة.

وقال معاليه « لقد حملتني الشخصيات الإسلامية التي وفقها الله تعالى لحج هذا العام في إطار رابطة العالم الإسلامي , شكرهم وتقديرهم البالغ للاهتمام الكبير الذي تضطلعون به حفظكم الله لخدمة العمل الإسلامي بعامة، والحرمين الشريفين بخاصة، مؤكدين (وهم وجوه الأمة وشهودها في العلم والدعوة والفكر باختلاف مذاهبهم تجمعهم كلمة الحق) على يُمن هذا الاستحقاق الإسلامي والتاريخي الذي انتهى إلى رعايتكم المسددة ووجدانكم الإسلامي الكبير » .

وأوضح الدكتور العيسى أن رابطة العالم الإسلامي, وهي ذات كيان عالمي، يمثل الشعوب الإسلامية في امتداد تجاوز نصف القرن، تحمل في جملة مهامها إيضاح حقيقة الإسلام، والتصدي للشبهات والمزاعم والأوهام، التي تبثها من حين لآخر رسائل الجهل والأغراض والتطرف ، مضيفا «أن الرابطه باسم الشعوب الإسلامية يسرها استشراف المملكة العربية السعودية الأبعاد المهمة في تشخيص الحالة, وإيجاد المعالجة, عندما أنشأت مركزاً عالمياً لمحاربة تلك الأفكار الدخيلة على الإسلام وأهله فوقود الإرهاب هو فكره».

وتابع معاليه قائلاً « ويكمن التحدي اليوم في أن كل عصابة إجرامية أصبحت تجد نفسها في عالمها الافتراضي المفتوح، وقد يصعب أن ينتهي الإرهاب بانتهاء نطاق حدودي يجمع لفيفه، فرابطة الإرهاب شبكة عالمية لا تستمد قوتها من كيانها الإجرامي في نطاقها الجغرافي الهش ، وإنما من تسلل أفكارها نحو أهدافها في العالم بأسره حتى أستطاعت اختراق من ولدوا ونشؤوا وتعلموا في بيئات غير إسلامية، مشيراً إلى أن هذا الإرهاب الذي صنف المنهج الحق الذي هدانا الله إليه ، عدوه الأول ، سواء في اعتدالنا الديني ، أو رشدنا المنهجي ، ليحدد البون الكبير بيننا وبينه ، مستوى التضاد معه ـ أصلاً وفرعاً.

وقال الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي «لقد نوه علماء ومفكرو رابطة العالم الإسلامي ، بدعوة المملكة العربية السعودية إلى إيجاد تحالف إسلامي عسكري لمحاربة الإرهاب ودحره، وجمع الكلمة الجادة والمستنيرة للعالم الإسلامي من أجل مواجهة التطرف الإرهابي ، بالتنسيق العسكري والفكري

والإعلامي . مع توحيد الجهود لقطع طرق إمداده وتمويله » . مؤكدا أن الرابطة وعبر مراكزها ومكاتبها وممثلياتها في أنحاء العالم . فضلاً عن شبكاتها الإعلامية ومجامعها وهيئاتها العلمية والفكرية . ستكون بإذن الله داعمة لهذا التحالف الإسلامي. و فاتحة خير على الجميع. تجمع وتؤلف في إطارها الإسلامي وبعدها الإنساني . سالكة جادة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم. حيث تعايش مع الجميع بعدما بين الحق للعالمين. ورسخ مبدأ الحقوق والحريات مؤمناً عليه الصلاة والسلام بالاختلاف والتنوع والتعدد تالياً قول ربه جل وعلا : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) . وتابع معاليه قائلا « نعم هذه مفاهيم الإسلام التي حذرت من أي شعار . أو اسم . أو وصف غير الإسلام, لكن عندما تختصر بعض المفاهيم سنة الإسلام وجماعة المسلمين في أوصاف لأشخاص. أو انتماءات. أو مدارس معينة . فقد اختزلت الإسلام الجامع,الإسلام الحاضن . إسلام السعة والامتداد والتاريخ. في مفاهيم محدودة . وأفكار ضيقة تفتح على الدين ثغرة تتسلل منها المصالح والأهواء. وختم معاليه قائلاً : سبيل رابطة العالم الإسلامي هو إيقاظ العقول المسلمة. وتحفيزها نحو فكر حر مستقل وواعٍ . على هدى الكتاب والسنة. كما أن من مهام الرابطة بناء علاقات إنسانية مع الجميع, تقوم على الوضوح والشفافية. والتعاون المتبادل لتحقيق صالح البشرية أجمع . وقد بعث الله تعالى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم صالح الأخلاق حتى قال عليه الصلاة والسلام لحلف عقدته قريش. وهم ليسوا على دينه(لو دعيت به في الإسلام لأجبت). هذه هي عالمية وإنسانية وحكمة ديننا التي ضاقت بها عقول. وضلت بها أهواء, سائلا الله أن يجزي خادم الحرمين الشريفين على ما قدمه و يقدمه للإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء خير الجزاء. وأن يوفق حجاج بيت الله الحرام, ويجعل حجهم مبروراً,وسعيهم مشكوراً.

عقدته الرابطة في منى بمشاركة كبار الشخصيات الإسلامية

مؤتمر الإسلام رسالةُ سلامٍ واعتدالٍ

منى : د. عبد الله الشيعاني

عقد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى ، في مقر الضيافة بمنى ، مؤتمر: «الإسلامُ رسَالةُ سلامٍ واعتدال»، في الحادي عشر من شهر ذي الحجة المنصرم، بمشاركة كبار الشَّخصيَّات الإسلاميَّة .

وفي كلمته الافتتاحية أمام المؤتمر تحدث معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية للعلماء المسلمين ونائب رئيس مؤتمرها العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى عن أهميّة تعزيز أسباب التلاقي والتآخي الإسلاميّ، وترجمةِ الرسالة العالمية والسلمية للإسلام في بُعدها الوسطي واعتدالها المنهجي على سلوكنا جميعاً أفراداً ومؤسساتٍ.

مشيراً معاليه إلى أن فريضةَ الحَجّ تحمِلُ في مضامينها دُرُوساً عديدةً في طليعتها التنبيهُ على أهميّة اتفاق الكلمة، ووحدة الصف، تحتَ شعارٍ واسمٍ ووصفٍ واحدٍ هو الإسلامُ، مع نبذ الفُرقة والخلاف المَذمُوم، وتجاوز الشِّعارات والمفاهيم والأسماء والأوصاف الضيقة التي تُفرِّق ولا تَجْمع وتُباعِدُ ولا تُقَرِّبُ، وأن مناعة الأمة تَقْوَى بتماسُك لُحمتها، وأن على علماء الإسلام الحذرَ من مخاطر التصنيف والإقصاء، وأن مُرْتَكَلاتِها هي مادةُ التطرف وبيئة التَّكفير.

بعد ذلك دعا معالي الأمين العام العلماءَ المشاركين لتقديم محاورِهم العلمية، وفي ختام ما قُدِّم من أطروحاتٍ ومداخلاتٍ انتهى المجتمعون إلى تقرير ما يلي: ـ

أولاً: الإشادة بالخَدَمات الإسلامية المتميزة المقدمة لحُجاج بيت الله الحرام ما سهَّل عليهم أداءَ نُسُكِهم في أجواء مفعمة بالأمن والسكينة والطمأنينة، وبعد حمد المولى سبحانه على ما أنعم وأجزل، رفعوا شكرَهم لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك: سلمان بن عبد العزيز آل سعود على ما يسَّر الله على يديه من خدمةٍ إسلاميةٍ جليلةٍ للحرمين الشريفين.

ثانياً: أكد المُؤْتَمِرُون على أنَّ رسالة الإسلام رسالةٌ عالمية،

تدعو للسلم والتعايُش والتعاون الإنساني مع الجميع، وأنها تحملُ في طياتها معانيَ التسامح والوسطية والاعتدال، مع استصحاب المعاني العظيمة في تكريم الخالق سبحانه لبني آدم ورحمتِهِ بهم، فيما حثت الشريعة الإسلامية في أهدافها الإنسانية على الإحسان لكل كَبِدٍ رَطْبَةٍ من إنسانٍ أو حيوانٍ.

ثالثاً : يؤكد المجتمعون على ما تضمنته كلمة رابطة العالم الإسلامي في حفل الاستقبال المقام بالقصر الملكي بمشعر منى لهذا العام ١٤٣٧هـ، من أن مفاهيم الإسلام حذَّرت من أي شعار، أو اسم، أو وصفٍ غير الإسلام، وأننا عندما نَخْتَصِرُ سنةَ الإسلام وجماعةَ المسلمين، في أوصافٍ لأشخاصٍ أو انتماءاتٍ أو مدارسَ معينة، فإننا نَخْتزل الإسلامَ الجامع، الإسلامَ الحاضن، إسلامَ السعة والامتداد والتاريخ، في مفاهيمَ محدودة، وأفكارٍ ضيقة، تفتح على الدين ثغرةً، تتسلل منها المصالحُ والأهواء، وأن سبيلَ رابطتهم الإسلامية، هو إيقاظُ العقولِ المسلمة، واستنهاضُها نحو فكرٍ حُرٍّ مُستقل وواعٍ على هدي الكتاب والسنة.

رابعاً: يُحَذّر المجتمعون من أيّ تكتُّلٍ يَخْرج بالمسلمين عن رايتهم الجامعة ليُفَرِّق كلمتهم ويَخْتَرِقَ صفهم، وينافي رسالتهم في سِلْمها واعتدالها، مُشيرين إلى أنَّ تاريخَ الإسلام لم يُسجِّل أي جَمع لإقصاء أيٍّ منهم عن سُنَّتهم وجماعتهم، وأن الانجرارَ لمثل هذه المزالق بمثل سوابق وخيمة على الإسلام وأهله، وأن لتصنيفه المُحْدَث لوازمَ خطيرةً هي شرارة التطرف في خطاب التكفيريين، وأن «حِكمةَ الإسلام» ورسوخَ علمائه ووعيَ دعاته ومفكريه فوق هذا، وعلى حذرٍ من تبعاته.

ثم إن مَنْ جَرَى التقولُ عليهم بأنهم أقصوا المدارس والمذاهب العلمية الإسلامية عن دائرة سُنَّة الإسلام وجماعة المسلمين هم من حفلوا قديماً وحديثاً برُوّاد تلك المدارس والمذاهب في مُؤسَّساتهم الأكاديمية ليُسهموا في تعليم مناهجها الشرعية ويناقشوا أطروحاتها العلمية، وأن الخُروج عن هذا الأفق الواسع لا يعدو أن يكون محصوراً في أفراد أو مؤسساتٍ محسوبة على نفسها لا سواها، يحصل منها مثلما يحصل من غيرها.

كما أكد المؤتمر على أن أي خطاب يخرج عن أصول الأدب العلمي أو يَحْمِلُ مضامينَ إقصائيةً، إنما يُمثل من صدر عنه، ولا يرتد سلباً عليهم ولا على مظلتهم المؤسسية (رابطة العالم الإسلامي) أن الخطاب المضاد متى استعار صيغة التطرف وإقصاءه فإنه في عداده وحُكْمه، منبهين في ذات الوقت على أهمية أن يكون لدى العلماء والدعاة والمفكرين من الرحابة والسعة ما يجعلهم أكثرَ تقبلاً وانتفاعاً لما يصدر عن غيرهم من ثراء الحوار والنقاش في إطاره المحمود.

كما نبَّهُ المجتمعون على أنَّ بعض الكتابات التاريخية ربما سجلتها أقلام لا رسوخ لها في علوم الشريعة ولا أدبها، فتصوغُ مدوناتِها بأخطاء وتقولات ومصطلحات تخالف الشريعة والحقيقة، ولا يتحملها سوى مَنْ دونها، وأن التعويل في الحكم على أهل الإسلام في أفراد علمائهم أو دعاتهم أو مفكريهم أو مؤسسات مدارسهم إنما يكون على مقالاتِ أصحابها من مصادرها، وأنه عند التشابه والاستشكال في مضامينها فإنها تُرَدُّ لمن صدرت عنهم أو ورثة علمهم، كما هو هَدْي الإسلام في التثبُّت والتَّبَيُّن وردِّ الأمر إلى أهله، مع الأخذ في الاعتبار أن من أصحاب الطرح المحسوب على علوم الشريعة من لا يُمَثّل إلا نفسه، ولا عصمةَ لأحدٍ غيرَ أنبياء الله ورُسُلِه فيما يبلغونه عن ربهم جل وعلا.

يعرب عن القلق لإصدار الكونغرس تشريعاً باسم «قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب»

خامساً: أكد المجتمعون على أن الأسماء المتداولة لبعض المدارس العلمية إنما هي مناهج وصفية فحسب، وليست بديلاً عن اسم الإسلام ومظلته الجامعة، وأن التوسع في تلك الأسماء من قِبَلِ أهلها أو غيرهم يُرَسِّخُ المفهوم الخاطئ حولها، فضلاً عن مُزاحمتها لاسم الإسلام الذي سمانا الله به لا بغيره.

فيما أكد المجتمعون على أن أفراد الأمة لا حاجة لهم بالتوسعات المتكلفة في شؤون الدين التي لا يُحيط بجدلياتها إلا من تعمق في سجالاتها، وأهلُ الإسلام على دينهم الحق دون أن يكونوا مكلفين بمعرفة تلكم الاستطرادات والأسماء المحدثة، فضلاً عما فيها من تعكير صفو الدين في نفوسهم والتأثير على نقاء فطرتهم وتآلفهم فيما بينهم.

سادساً: حذَّر المجتمعون من مُخالفة المنهج الحق في أدب الدعوة والحوار والنصح، مُنبهين على خُطورة مُرْتَجَلِ المقالات والبيانات والعبارات التي تَصِمُ أبناءَ الإسلام في سَدَادِ مذاهبهم ومناهجهم بكلمة السوء بما لا طائل من ورائه سوى التحريش بين المسلمين والتنابز بينهم بالتبديع والتضليل والتكفير، وأن المُتعين هو الأخذ على أيدي أصحابها بوصفهم وَقودَ الفتنة والفُرقة ومحرضي السفهاء والجهلة على سلوك جادة التطرف بذلكم التعدي والارتجال، وأن الحريات التي أقرتها الشريعة لها نظام يحمي من التطاول والفرية وزرع الشر

التنويه بالعزيمة الإسلامية القوية بدعوة وقيادة المملكة في إنشاء تحالف إسلامي لحرب الإرهاب

والفتنة.
وفي هذا الصدد حذر المجتمعون من خطورة خطاب الكراهية والتحريض، وأن المسلم يسعد بالخير للناس أجمعين، وأن دعوته تيسير على هدي كريم من قول الله تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»، وقوله تعالى: « ادعُ إلى سَبيل رَبِّك بالحِكْمة والمَوعِظَة الحَسَنَة»، وقوله سبحانه: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:«يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا» وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»، وما انتشر الإسلام، وسرى في العالمين إلا بالعدل والإحسان، والكلمة الطيبة، والقدوة الحسنة، وتحرير العقول، وتأليف القلوب.
سابعاً: أهل العلم والإيمان هم أكثر الناس فهماً واستيعاباً لسنة الله تعالى في خلقه حيث الاختلاف والتنوع والتعدد، مع إيمانهم بضرورة التعايش مع الجميع، وأنه لا يَضِيق ذَرْعاً بهذه السنة الكونية إلا من قل علمه وضل فهمه.
ثامناً: أكد المجتمعون على أن الإرهاب لا دين له ولا وطن وأنه مُنْبَتُّ الصلة عن مدارس ومناهج أهل الإسلام كافة، على تنوعها وتعددها بموافقاتها ومخالفاتها المحمودة، وأنه نِحْلَةٌ فاسدة كفَّرت مَنْ سواها امتداداً لمنهج أسلافها.
فيما أشاد المؤتمر بالأصوات المنصفة من غير المسلمين التي أكدت على أن الإرهاب نزعة إجرامية لا صلة لها بدين ولا وطن، وأن الإسلام منه بريء ، وأن التطرف سياق عارض يَصْدُرُ عن بعض المنتسبين للأديان كافة، منوهين على وجه الخصوص بما صدر في هذا المعنى من تعليق منصف عن المرجعية الفاتيكانية على خلفية الأحداث الإرهابية الأخيرة في بعض البلدان الأوروبية.
وأشار المجتمعون إلى أهمية أن يكون الدعاة على يقظة من إلهاب المشاعر المتسرعة، وأن معالجة ما يطرأ من قضايا وأحداثٍ تكون بالعلم والحكمة لا بالجهل والعجلة، وأنها محكومة بفقه الأولويات والموازنات والنظر في المآلات، وأنها إلى من ولاهم الله أمرها لا لغيرهم.
تاسعاً: أكد المجتمعون على أنه مع الأهمية الكبيرة للملاحقة العسكرية للإرهاب والخسائر المتلاحقة التي مني بها، إلا أنه كثيراً ما يسارع في استعادة قواه من خلال مُنْتَج رسائله الضالة، ما يؤكد على أهمية التصدي الفكري له، منوهين في هذا بما استشرفته المملكة العربية السعودية من إنشاء مركز عالمي لمحاربة الفكر الإرهابي، ودعوة تاريخية تكللت بإنشاء تحالف عسكري إسلامي للتنسيق بين دوله لمحاربته عملياتياً وفكرياً وإعلامياً، مع توحيد الجهود لقطع سبل إمداده وتمويله.
كما نوه المؤتمر بالتحالف الدولي لمحاربة بؤر التطرف والإرهاب وبالإسهام الإسلامي الفاعل فيه من قبل المملكة العربية السعودية باعتبارها مرجعيةَ العالم الإسلامي ومِحْوَرَ قِيَادَتِهِ وحاضنةَ مقدساته «خدمةً ورعايةً»؛ ليُترجم في مضامينه أن الحرب إنما هي على الإرهاب لا سواه، وهو عدوٌ طال شَرَرُهُ الجميعَ، فوجبَ الوقوفُ ضدَّهُ بكل سبيل تُوْصِلُ إلى دفع شره.
عاشراً : أعرب المجتمعون عن تأييدهم الكامل للبيان الصادر عن رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للعلماء المسلمين المتضمن التعبير عن بالغ القلق لإصدار الكونغرس الأمريكي تشريعاً باسم: « قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب» بالمخالفة الواضحة لميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ القانون الدولي؛ باعتبار هذا التشريع مخالفاً لأسس العلاقات الدولية، القائمة على مبادئ المساواة في السيادة، وحصانة الدولة، والاحترام المتبادل، وعدم فرض القوانين الداخلية لأي دولة على الدولة الأخرى، وأن إصدار مثل هذا القانون سيُهَدِّدُ استقرارَ النظام الدولي، ويُلقي بظلال الشكوك على التعاملات الدولية، إضافة إلى ما قد يُحدثه من أضرار اقتصادية عالمية، وسيكون له تبعاتٌ سلبيةٌ كثيرةٌ، وسيُشكِّل سابقةً خطيرة في علاقات الأمم، مع الأمل بألا تعتمد السلطات التشريعية الأمريكية هذا التشريع الذي سوف يفتح الباب على مصراعيه للدول الأخرى، لإصدار قوانين مشابهة، ما سيؤثر سلباً على الجهود الدولية لمحاربة الإرهاب، ويُخل إخلالاً جسيماً بمبادئ دولية راسخة قائمة على أسس المساواة السيادية والحصانة السيادية للدول، وهو ما استقر العمل بموجبه في جميع التعاملات الدولية، منذ تأسيس الأمم المتحدة، مما سينعكس سلباً على التعاملات الدولية، ويحمل في طياته بواعث للفوضى، وعدم الاستقرار في العلاقات الدولية، وسيُعيد النظام الدولي للوراء، ويجدُ فيه التطرف المحاصر فكرياً ذريعةً جديدةً للتغرير بأهدافه.
حادي عشر: استنكار ما صدر عن بعض المسؤولين الإيرانيين ومُنَظّري تَوَجُّهِهِ الطائفي من تدخل سافرٍ في شُؤون الحج في سياق معتادهم السنوي الذي قصُرَ عن السمو بنفسه إلى أهداف الإسلام العُليا، ليكرِّر من حين لآخر هزائمَهُ المتتالية في تفريق صف المسلمين، ومحاولاتِهِ اليائسةَ اختراقَ وحدة كلمتهم، والنيل من شِعارهم، لصرفهم لتبعية شعارات ونداءات دخيلة، تُفَرِّقُ ولا تَجْمَعُ، وتُؤَجِّجُ ولا تؤلف، لتعميق الكراهية، وإثارة الفتنة، ولم تجْنِ إيرانُ من جَرَّائها سوى أن أصبحت شُؤماً على كل من اخترقتهُ سياستها الطائفية، حيث ارتبط اسمها بمناطق الصراع وبؤر التأجيج والإرهاب، كما لم تزدها عظةُ التاريخ فيها وفي غيرها إلا ارتكاساً في ضلالها وتمادياً في مُجازفاتها.

الرابطة والهيئة العالمية للعلماء المسلمين تعربان عن بالغ القلق لإصدار الكُونغرس الأمريكي تشريعاً باسم: قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب

جدة:

أعربت رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للعلماء المسلمين بالرابطة عن بالغ القلق لإصدار الكُونغرس الأمريكي تشريعاً باسم: « قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب» وذلك لمُخالفته الواضحة والصريحة لميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ القانون الدولي؛ باعتبار هذا التشريع مخالفاً لأسس العلاقات الدولية، القائمة على مبادئ المساواة في السيادة، وحصانة الدولة، والاحترام المتبادل، وعدم فرض القوانين الداخلية لأي دولة على الدولة الأخرى.

وأكد معالي أمين الرابطة رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية للعلماء المسلمين ونائب رئيس مؤتمرها العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، على أن إصدار مثل هذا القانون سيُهَدِّدُ استقرارَ النظام الدولي، ويُلقي بظلال الشكوك على التعاملات الدولية، إضافة إلى ما قد يُحْدِثُهُ من أَضْرارٍ اقتصادية عالمية، وسيكون له تبعاتٌ سلبيةٌ كثيرةٌ، وسيُشكِّل سابقةً خطيرةً في علاقات الأُمَم.

وأعربَ معاليه عن أمله باسم رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للعلماء المسلمين بألا تعتمدَ السلطاتُ التشريعية الأمريكية هذا التشريعَ الذي سيَفتحُ البابَ على مصراعيه للدول الأخرى، لإصدار قوانين مشابهة، ما سيؤثر سلباً على الجهود الدولية لمحاربة الإرهاب، ويُخِلُّ إخلالاً جسيماً بمبادئ دولية راسخة قائمة على أسس المساواة السيادية، والحصانة السيادية للدول، وهو ما استقر العمل بموجبه في جميع التعاملات الدولية، منذ تأسيس الأمم المتحدة، ما سينعكس سلباً على التعاملات الدولية، ويحمل في طياته بواعث للفوضى، وعدم الاستقرار في العلاقات بين الدول، وسيعيد النظام الدولي للوراء، كما سيجدُ فيه التطرفُ المحاصر فكرياً ذريعةً جديدة للتغرير بأهدافه.

حرص الداعية على طلب العلم

أمهات المؤمنين - رضي اللّه عنهن- مثالاً

بقلم: د. زلفى أحمد

المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد..

فإن الله تعالى اصطفى لرسوله صلى الله عليه وسلم خير الرفاق، وأطهر الصحب، عَظُمَ إيمانهم، وكَمُل خُلُقهم، وعَلَت هممهم، وبلغوا مكانة سامية في نصوص الكتاب والسنة، إذ منحتهم هذه النصوص تزكية موثّقة؛ للنهوض بنقل هذا الدين ونشره، فكانوا واسطة خيرٍ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأجيال الذين تواردوا من بعده.

وفي مقدمة أولئك الصحب الكرام أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللواتي لم يتوانين-رضي الله عنهن- عن تقديم ما في وسعهن في سبيل الدعوة إلى دين الله، وتمهيد عوائق طريقه، وقد حَملن على عاتقهن هذه المهمة الجليلة، وخدمن هذه الدعوة المباركة، وبَلَّغن الأمانة التي نهضن لأجلها، فكنّ من أجلّ فقهاء الأمة الذين سجّلوا بأقوالهم وأفعالهم وجهودهم أدقّ علوم الوحي الكريم، وكنّ من أبرز دعاتها الذين أنقذوا المجتمع ممّا يرسف فيه من أغلال الشرك والضلال.

لقد بذلت أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- قصارى جهدهن في أداء هذه المهمة الربانية، واسترخصن في سبيل ذلك الغالي والنفيس من أموالهن وأوقاتهن وأنفسهن وأهليهن، محتسبات ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى، غير منتظرات الجزاء عليها من الناس.

ومن أهم ما ساعدهن على السير بالدعوة بنجاح والرسوّ بها على برّ الأمان، حرصهن رضي الله عنهن على طلب العلم، وتلقّيهن المباشر من الرسول صلى الله عليه وسلم، والتتلمذ على يده الشريفة، وحِرْصُه عليه الصلاة والسلام على تعليمهن وتوجيههن في كل ما يتعلق بشؤونهن الدينية والدنيوية.

فمن الأمور الضرورية التي ينبغي لكل داعية أن يضعها نُصب عينيه، ويوليها عناية خاصة: أن يكون لديه رصيد علمي غنيّ يؤهّله لتوجيه المجتمع؛ إذ كيف سيُطبق الحكم الشرعي، ويدعو إليه وهو جاهل به، غير مُدركٍ لِحِكَمه ومدلولاته؟ وكما قيل: فاقد الشيء لا يُعطيه.

وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن خير قدوة لنا في ذلك، فكنّ في مقدمة مَن طلب العلم، وتعلّم، وتفقّه، فأصبحن منبراً ثقافياً، ومرجعاً علمياً يرجع إليه الصحابة ومَن بعدهم في كل ما يُشكل عليهم في أمور الدين.

وممّن برزن في المجال العلمي: أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، فطرقت أبواب العلوم الدينية والدنيوية، وبرزت فيها.

رُوي عن الشعبي: أن عائشة قالت: «رويتُ للبيد نحواً من ألف بيت»، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: «ما ظنكم بأدب النبوة؟».

وقيل لعائشة: يا أم المؤمنين! هذا القرآن تلقّيتِه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره، فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزال الرجل يشكو علّة، فيسأله عن دوائها، فيخبره بذلك، فحفظتُ ما كان يصفه لهم، وفهمتُه.

وكانت -رضي الله عنها- دقيقة في نقل العلم، حتى إنها كانت تقرن الخبر المروي بالزمان والمكان لوقوعه: قالَتْ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ).

ونقلتْ لنا عائشة -رضي الله عنها- علماً غزيراً، وفقهاً عميقاً، بشهادة كبار علماء التابعين: قال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة». وقال الزهري: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل»

وعاشت -رضي الله عنها- بعد رسول الله صلى الله عليه

وسلم قريباً من خمسين سنة، يأخذ الناس عنها الأحكام والآداب حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها .

وحفصة بنت عمر -رضي الله عنها- من النسوة اللاتي ملأن أوقاتهن بالعلم وطلبه، وكانت من القلة اللّاتي تعلّمن الكتابة، فقد علّمتها الشفاء بنت عبد الله؛ لذا كانت بالنسبة للصحابة الحِرز الحصين للنسخة المكتوبة من القرآن الكريم؛ لحفظها من التحريف أو التغيير، عن سالم بن مروان أنه كان يرسل إلى حفصة يسألها عن المصحف الذي نسخ منه القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياه، فلما دفنا حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر: أرسل إلي بذلك المصحف، فأرسله إليه.

وكانت -رضي الله عنها- مرجعاً للصحابة فيما استشكل عليهم من علم ديني أو دنيوي، وكانوا يستّون قوانين للدولة الإسلامية بناءً على فتوى منها، رُوي أنّ عمر، وَهُوَ يَطُوفُ سَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاخْضَلَّ جَانِبُهُ
وَأَرَّقَنِي إِذْ لَا خَلِيلَ أُلَاعِبُه
فَلَوْلَا حَذَارُ اللَّهِ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ
لَزُعْزِعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ

فَقَالَ عُمَرُ: «فَمَا لَكِ؟» قَالَتْ: أَعْتَزَلْتَ زَوْجِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَقَدِ اشْتَقْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «أَرَدْتِ سُوءًا؟» قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: «فَامْلُكِي عَلَى نَفْسِكِ فَإِنَّمَا هُوَ الْبَرِيدُ إِلَيْهِ»، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَ: «إِنِّي سَائِلُكِ عَنْ أَمْرٍ قَدْ أَهَمَّنِي فَأَفْرِجِيهِ عَنِّي، كَمْ تَشْتَاقُ الْمَرْأَةُ إِلَى زَوْجِهَا؟» فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا فَاسْتَحَيَتْ. فَقَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ»، فَأَشَارَتْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَإِلَّا فَأَرْبَعَةً. فَكَتَبَ عُمَرُ: «أَلَّا تُحْبَسَ الْجُيُوشُ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ».

ومن فقهاء الصحابيات أم سلمة -رضي الله عنها-، ومن جملة العلم الذي روته لنا: الدعاء الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من ترداده؛ لأهميته الكبيرة: عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)».

وزينب بنت جحش -رضي الله عنها- ممّن حرص على طلب العلم والتفقه فيه بسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أشكل عليها فهمه: عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا)، قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ).

ومما ساعد أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- على طلب العلم، والنبوغ فيه حِرْص رسول الله -عليه الصلاة والسلام- على تعليمهن أمور دينهن، وتوجيههن للمسار القويم؛ ليكنّ حلقة الوصل بينه وبين أمته في نقل أحكام الحياة الأسرية والخاصة. ولقد كنّ -رضي الله عنهن- خيرَ مَن يقوم بهذه المهمة الشريفة، وأوثق مَن حَدَّثوا عنه عليه الصلاة والسلام لاحتكاكهن المباشر به، دون حجاب أو رسول أو واسطة، فأحسنوا التتلمذ على ذاك المعلم الربانيّ، وأفدن منه ما يحتجن إليه من أحكام وتوجيهات، ثم نقلن إلى مجتمعهنّ كل ما تلقّينه من فِيه الشريف أو من تصرفاته السلوكية.

ومن الأمثلة على ذلك التلقّي والتعليم: تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم لخديجة الوضوء والصلاة، فقد روي أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة، فتوضأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلّى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلّى به جبريل، فصلّتْ بصلاته. وثمّة عوامل تشجّع المعلم على الشرح العميق، وتساعد التلميذ على الفهم الدقيق، ومن ذلك إثارة الأسئلة حول ما صَعُبَ فَهْمُه، أو جُهِلَتْ معرفته.

من تطبيق أمهات المؤمنين لذلك العامل: ما رُوي أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه. وما ذاك إلا بكثرة سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستفسار منه؛ بغية فهم الحكم الشرعي وملابساته ومقاصده. ومن الأمثلة على أسئلتها ومراجعاتها للرسول صلى الله عليه وسلم: ما روي أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:(والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون). قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويُصلّون ويتصدقون، وهم يخافون ألّا تقبل منهم: (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون).

وكانت -رضي الله عنها- لا تبغي مِنْ سؤالها فَهْمَ ما جَهِلَتْ فحسب، بل تطمع في استزادة الخير والأجر للأمة الإسلامية، فعن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِمَا الجَنَّةَ)، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: (وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ يَا مُوَفَّقَةُ)، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: (فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي).

وعلى نهجها كانت أم المؤمنين أمّ سلمة، فقد أرادت -رضي الله عنها- ألا يستأثر الرجال بالفضائل والقربات، وحُرم النساء منها، فبادرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤال عمّا للنساء من أجر ومثوبة عند الله، فنزلت آيات تُقرّ عينَها، وتُطيّب خاطرها: رُوي أن أمّ سلمة قالت: يا رسول الله ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ قالت: فلم يُرعني منه يوما

إلا ونـــداؤه على المنبر: (يا أيها النـــاس: إن الله عز وجل يقول: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) إلى آخر الآية.

كما روي أنها قالت: يا رســـول الله! لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله: (فاســـتجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى).

ولـــمّا رأت أم سلمة رســـول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد العصر، رغبت في فهم ذاك الحكم الشرعي، فأرسلت جاريتها إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم تستفسر منه عن ذلك، وكان عندها نســـوة من الأنصار، فأجابها عليه الصلاة والسلام: (يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَشَـــغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْـــرِ فَهُمَا هَاتَانِ). قال ابن حجـــر: «وفيه دلالة على فطنة أم سلمة، وحســـن تأتّيها بملاطفة سؤالها، واهتمامها بأمر الدين، وكراهة ترك تفويت طلب العلم وإن طرأ ما يشغل عنه».

وها هي زينب بنت جحش -رضـــي الله عنها- تنهج النهج ذاته، فتستفســـر عمّا جهلته، وتتحرّى عما صعب عليها فهمه: روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ يَوْمًا فَزِعًا فقال: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُـــوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا)، قالَت: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ).

ومن حرصها -رضي الله عنها- على التعلّم والتفقّه استفسارها عن أمر شاهدته مع أم حبيبة في الحبشة، وتوقعت أن فيه خدشاً لصفاء العقيدة وســـلامة أصلها: روي أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَـــلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ فَقَالَ: (إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْـــجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

فأمّ سلمة وأمّ حبيبة رضي الله عنهما استنكرتا تلك التصاوير فـــي كنائس الحبشـــة، وأرادتا فَهْـــمَ حقيقتها، وأصـــل اعتقاد الأحباش فيها: رغبةً منهما فـــي صيانة عقيدتهما من دنس أو خلل يشـــوبها، وقد فهمتا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقلتاه للأمة الإسلامية بروايتهما لذلك الحديث.

ومـــن أبرز الموضوعات التي اعتنت أمهـــات المؤمنين بالتفقّه بها العلاقة الخاصة بين الزوجين، فسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دقائقها ومسائلها ثم نقلنها لنا لتطبيقها.

من ذلك: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ، قالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ الغُسْلُ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قالَ: (نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ المَاءَ) فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَبِمَ يُشْبِهُ الوَلَدُ).

وروي أن أم سلمة -رضي الله عنها- سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِغُسْـــلِ الجَنَابَةِ؟» قالَ: (لَا، إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ المَاءَ فَتَطْهُرِينَ).

ويحرص رســـول الله صلى الله عليه وســـلم على تقويم ما تقع فيه أمهات المؤمنين من عِوَجٍ، وتصحيح ما يبدر منهن من خطأ، ليقينه بأنَّ ذاك التقويم والتصحيح ليس لزوجاته فحســـب، بل للأمة الإسلامية جمعاء.

عن عائشـــة رضي الله عنهـــا أنها قالت: كنت أحـــبّ أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رســـول الله صلى الله عليه وســـلم بيدي، فأدخلنـــي في الحِجر، فقال لي: (صلي فـــي الحجر إذا أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة، فأخرجوه مـــن البيت). وكم في ذلك التوجيه السديد من رحمة وتيسير وتسهيل على الأمة.

ورُوِي عَنْ عَائِشَةَ قالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ، فَرَأَى كِسْـــرَةً مُلْقَاةً، فَأَخَذَهَا فَمَسَـــحَهَا، ثُمَّ أَكَلَهَـــا، وَقالَ: (يَا عَائِشَةُ أَكْرِمِي كَرِيمًا، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ قَطُّ، فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ). فاحترام النعمة يحفظها لصاحبها، وامتهانها يحرمه منها.

ويتعاطف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجته أم حبيبة -رضي الله عنها- لـــمّا أرادت أن تُســـدي له معروفاً، ويُشعرها بامتنانه لها، ولكنـــه يردُّ عليها معروفها ذاك بلطف، مبيّناً لها الحكم الشرعي دون أن يُحرجها أو يجرحها: قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: (أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟)، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْـــرٍ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: (إِنَّ ذَلِكِ لاَ يَحِلُّ لِي).

ولـــمّا أخطأت -رضي الله عنها- في اختيار ألفاظ دعائها، بيّن لها خطأ ما تلَفَّظَتْ به، وعلّمها، ثم قدَّم لها اللفظ البديل المناسب: قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُـــولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِـــي مُعَاوِيَةَ قـــالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: (قَدْ سَـــأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَـــيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِـــي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ).

وبعد..

فقد كان هذا غيضاً من فيضٍ مـــن عناية أمهات المؤمنين رضي الله عنهـــن بالعلم، فغـــدون منارا يهتدي به الســـاري على مرّ السنين، ومنبراً ينهل منه المصلحون عبر الأجيال، فحريّ بالدعاة أن يأتســـوا بهديهن، ويقتدوا بنهجهن: ليبلغوا ما ينشدونه من إصلاحٍ لمجتمعاتهم، ونشرٍ لدين الله في أرجاء المعمورة.

مواقف دعوية

مع الداعية الشيخ نعمة الله (٣/١)

بقلم: الدكتور صالح مهدي السامرائي

رئيس المركز الإسلامي في اليابان

كتب الدكتور صالح السامرائي رئيس المركز الإسلامي في اليابان مقالات عن شيخ تركي يُسمى نعمة الله، له أسلوب مميز في الدعوة إلى الله. وقد فتح الله على يديه قلوب الكثير من الناس، فاعتنقوا الإسلام، ومنهم من صار من كبار الدعاة إلى الله.

في الحلقات التالية، نعرض بتصرف جانباً من هذه المقالات، راجين الاستفادة منها، وخاصة في أوساط العاملين في المجال الدعوي والتعليمي.

شيخ تركي الأصل والنشأة، قضى خمسة عشر عاماً مجاوراً في المدينة المنورة، وخمسة عشر سنة في مكة المكرمة إماماً لمسجد النور عند جبل حراء، وقبلها مؤذناً في مسجد السلطان أحمد في إسطنبول أكبر مسجد فيها وإماماً في مساجد عدة .

تتلمذ على الكثير من العلماء المعاصرين للسلطان عبدالحميد رحمه الله. زار أكثر من خمسين بلداً داعية إلى الله، أخرج المئات من رواد الخمارات في أوروبا إلى المساجد وأدخل عشرين ألف مصحف في الصين عام ١٩٨١ ، بموافقة الحكومة الصينية ، وزار سيبيريا وما حولها في روسيا ثلاث مرات بثوبه الأبيض ودرجة الحرارة أربعين تحت الصفر.

لقد أقام معي في اليابان أربعة عشر عاماً يدور البلد من شماله إلى جنوبه ، ينشئ المساجد ويحولها إلى مدارس ، وأدخل المئات بل الآلاف من اليابانيين في الإسلام بدعوة «لا إله إلا الله». يوزع كراسة التعريف بالإسلام يومياً بالمئات ويحث المسلمين على عمل ذلك. ويستقبل الناس في مركزنا الإسلامي من الصباح إلى المساء، وفي الليل يسيح في مساجد طوكيو العديدة ويأخذ الناس على حسابه بالتاكسيات لصلاة الفجر في مسجد طوكيو المركزي.

سكنه المساجد والمصليات، لا نعطيه راتباً ولو قرشاً واحداً، لا يغتاب أحداً ولا ينمُّ على أحد ولا يعادي أحداً. يجمع الأمة الإسلامية كلها، يحبه الجميع ولو كان هؤلاء لا يرتاحون لبعضهم البعض. ولا يدعو على أحد ودعوته «اللهم اهدِ من هو عدو للإسلام واقلب عداوته إلى نصرة الإسلام مثل سيدنا عمر وخالد وعكرمة».

وها إني وقد صاحبته السنين العديدة وهضمت طريقته في الدعوة وتعرفت على شخصيته عن قرب أكتب بعض الحلقات عنه آملاً أن تكون في سيرته قدوة للشباب المسلم في كل مكان، راجياً من الله العفو والأجر «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت»، وأن يثيبني عما أكتبه عن هذا الرجل...

صاحبت الشيخ نعمة الله في ميدان الدعوة في اليابان وغيرها لمدة خمس عشرة سنة واستوعبت طريقته في الدعوة إلى الله وتوصلت إلى أن دعوة الشيخ نعمة الله هي من أقوى الدعوات فعالية وأسرعها في النتائج. الطريقة بسيطة وكل مسلم يستطيع أن يقوم بها، ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية؟

إن أساس دعوة الشيخ هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول للعرب: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، لقد بسط الشيخ هذه الكلمة المباركة حيث يقول للناس: كلمتان من يقولهما تذهب عنه جميع المشاكل التي يعاني منها، وينجح في الحياة. ويقول كذلك: إنه من يردد هذه الكلمة: إن كان مسلماً يتجدد إيمانه، ومن كان غير مسلم فإنه يدخل الإسلام، حتى وإن لم يفهم معناها، إن الكلمة تنور أذنه وفمه وقلبه، وتنزل السكينة والرحمة حين يسمعها السامع وينطقها؟

طور الشيخ وطورنا هذه الطريقة حيث بدأ يقول باللغة الإنجليزية (one gol all problems finished) ، إنجليزي على عربي، (gol) بالعربي (قول) ، ولقد استبدلها بكلمة يابانية (shi awasei no kutuba) فيفهم السامع من هذه الجمل أنه يريد منه أن يردد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يرى الشيخ بأن من يردد هذه الكلمة فقد دخل الإسلام، وبعدها يقول له:(Present Islam Name) نقدم لك هدية اسم إسلامي (أحمد ، محمد ، فاطمة ، عائشة).

من جانبنا طورنا هذه الطريقة، فمثلاً في اجتماع لنا في اليابان حضره أكثر من مئة أستاذ وأستاذة، وقف محدثنا الأستاذ

علي الزعبي يتحدث عن الإسلام بيابانية طليقة ويجيب على أسئلة الحضور لمدة ساعتين ، إلى هنا كان هذا عملنا في مركزنا الإسلامي في السنين الماضية ، كما أن هذا هو العمل نفسه تقوم به مراكز ودعاة الدنيا. قد يسلم البعض بعد المحاضرة في الحال أو يسلم بعضهم بعد أسبوع. بعد سنة أو لا يسلم أحد منهم نهائياً إلى أن يموت. حيث إن انطباع الأمة الآن أننا يجب أن لا نتسرع في دعوة الناس إلى الإسلام ولا نجرح شعورهم ونصبر عليهم ولو لسنين. ونعطيهم المزيد من الكتب ومزيداً من القدوة الحسنة بل لا نقوم بالدعوة إلا أن نصل درجة الصحابة في الإيمان والتقوى. إلا أنه مما تعلمناه من الشيخ نعمة الله أنه من يؤمن بوحدانية الله وبنبوة محمد بقلبه ويقولها بلسانه فإنه يصبح مسلماً. وهنا أعلن جميع اليابانيين واليابانيات الحضور: كلنا مستعدون لهذا الأمر قام الشيخ نعمة الله يردد بنغم مؤثر «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والجميع يردد معه. فكر الشيخ وقال لو أن الحضور ٢ أو ٥ أو ١٠ ، فإننا سنعطي اسماً خاصا لكل رجل وامرأة. إلا أن الحضور أكثر من مئة. شغل الشيخ مخه وقال (All men Muhammad , All women Fatimah) كل الرجال اسمهم محمد. وكل النساء اسمهن فاطمة. صفق الجميع وأعربوا عن سرورهم.

لقد أسميت طريقة الشيخ نعمة الله « طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة» ولخصتها بكلمتين «الاهتمام والشجاعة» ، بالنسبة للاهتمام فالرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصاً بكل لحظة أن يدعو من تصل إليه يده إلى الإسلام. إن هذا الأمر يحتاج إلى اهتمام كما أنه يحتاج إلى شجاعة وقوة أعصاب. حيث إن العرب في أول أمرهم كانوا يردون دعوة الرسول ويتهكمون به. ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتألم. إلا أنه كان يتحمل الإعراض عن دعوته وأصر على الدعوة حتى أحرز النجاح. إن الشيخ نعمة الله لا يوفر لحظة واحدة في أن يدعو أي إنسان سواءً كان رئيسا أم مرؤوساً. حاكماً أم محكوماً. تاجراً أم مشترياً. رجلاً أم امرأة. وإن نسبة الاستجابة له ٩٩٪ وحين يعرض عنه أي إنسان يقول «أجر شهيد».

إن جذور هذه الطريقة في السيرة النبوية معروفة لدى الكثير. ولعلنا نتذكر عيادة الرسول صلى الله عليه وسلم للطفل اليهودي المريض. وعند زيارته له بدأ يحتضر. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: قل لا إله إلا الله محمد رسول الله. فما كان من والده إلا أن قال للطفل: أطع أبا القاسم. فنطق الطفل قبل وفاته بالشهادتين. ونحضرنا كذلك دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل وشهيد أحد. عثمان بن مظعون رضي الله عنه. يقول عثمان كلما رآني الرسول يقول لي مثلك لا تغيب عنه حقيقة الإسلام. فأسلمت مجاملة. ودخلت الحرم المكي في أحد الأيام ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً بجانب الكعبة ودعاني وقال: أعلمك آية نزلت الآن «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» فأدركت أن الإسلام دين حق وجددت إيماني.

وفي إحدى زياراتنا أنا والشيخ نعمة الله لمدينة الرياض. حدثنا أحد المشايخ قائلاً: إني أتفق معكم بطريقة الدعوة إلى «لا إله إلا الله» وذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا أحد العرب إلى قول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقال هذا العربي هذه الكلمات هي أكره شيء عندي فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم قلها ولو كاره. فلما قالها نور الله قلبه وآمن بالإسلام.

إنني لخصت الاهتمام هو أن يكون لك صديق غير مسلم وأساتذة غير مسلمين وطلبة غير مسلمين وعمال غير مسلمين وزملاء غير مسلمين وزبائن غير مسلمين ومتعاملون معك غير مسلمين. فحينما يكون عندك الاهتمام وتستطيع أن تبلغ الدعوة ستوصل رسالة الإسلام إلى كل هؤلاء... وهذا الأمر يحتاج إلى شجاعة. بالنسبة لي فقد عشت خمس سنوات في سكن للطلبة في اليابان في الستينيات من القرن الماضي. كان جاري طالباً فلبينياً. أبوه ضابط في رئاسة الجمهورية الفلبينية. كل يوم يقول لي هذا الزميل الفلبيني إن أصولي إسلامية واسم عائلتي يدل على أن أجدادي كانوا مسلمين. وعلى الرغم من أنني منذ صباي مواظب على الصلاة وفاهم لأحكام الدين الإسلامي وطالب في الدراسات العليا في الجامعة. لم أدع هذا الشخص يوماً إلى الإسلام. وإني أشعر إلى يومنا هذا بالحزن والأسى على ذلك. أساتذتي اليابانيون كانوا يقولون «نحن لا نحب التشدد إلا أن تشدد السامرائي نحبه». ما قدمت لهم يوماً رسالة الإسلام مع أنهم كانوا يشاهدونني أصلي في المعمل وفي الحقل حيث إني كنت في كلية الزراعة في جامعة طوكيو. زميلي المسيحي العراقي في الجامعة يقول لي دائماً «علمني الإسلام فأقول له اسكت. ظناً مني أنه يستهزأ بي».

يقول الشيخ نعمة الله: أن الأمة جهلت المبادرة في دعوة الآخرين للإسلام ، ومن تجربتي معه. فإن طريقته كما ذكرنا أعلاه هي الأكثر فعالية. ففي زياراتنا المتتالية لماليزيا اهتدى الكثير من الصينيين والمسيحيين والهنادك إلى الإسلام بدعوة الشيخ نعمة الله. لدرجة أن الكثير منهم كان يعتب على المسلمين لماذا لم ندعوهم إلى الإسلام إن كان الدخول في الإسلام سهلاً بهذه الطريقة. ولقد حضرنا اجتماعًا في جماعة out reach أحد فروع جمعية ABIN الشبابية في ماليزيا والمتخصصة في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. وأوضحنا لهم كيف استطعنا خلال إقامتنا شهرين في ماليزيا أن نهدي إلى الإسلام المئات. فقالوا إنكم عملتم خلال الشهرين ما لم نعمله في سنين. وكانت نتيجة سماعهم لتجربتنا أن ازدادوا نشاطاً وأدخلوا الآلاف من غير المسلمين في الإسلام وهذا ما أخبرونا به خلال لقاء وفدهم بنا في إسطنبول بتاريخ ٢ /٦/ ٢٠١٠ حيث قالوا إن الآلاف دخلوا في الإسلام من مختلف طبقات المجتمع. أساتذة ومسؤولين ومن عامة الناس.

وفي حديثي عن الشيخ نعمة الله أمثلة تظهر فعالية الطريقة التي علمنا إياها الشيخ في الدعوة الإسلامية. إن الخير موجود في الأمة وفي الدعاة إلى الله. ولست بكلامي هذا منتقصاً من أحد والكل على خير. وهذه بضاعة نسوقها للأمة للاستفادة منها «أولئك الذين اهتدوا فبهداهم اقتده»...

على أحد الأرصفة في إحدى محطات القطارات في طوكيو وعلى بعد ما يقارب المائة متر رأى الشيخ نعمة الله شبح امرأة متلفعة بملابس بيضاء. اقترب منها فإذا بها ذات ملامح غير يابانية ففاجأها متسائلاً Do you speak English «هل تتحدثين الإنجليزية؟ فأجابت: Yes I am an English woman (نعم أنا امرأة بريطانية. وهنا بدأ يعرض بضاعته: One gol all problems finished رددتها المرأة البريطانية وأعقب ذلك present Islamic name Rawdha أهديك اسماً إسلامياً «روضة»، فرحت، وبعدها سلمها نشرة تعريفية للمركز الإسلامي باليابانية والإنجليزية وتركها.

بعد ثلاثة أيام اتصلت روضة بالمركز الإسلامي وقالت رأيت شيخاً ظننته مجنوناً وطلب مني قول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأهدى لي اسماً إسلامياً، ثم قالت: بصراحة كنت ولمدة طويلة أعاني من مشاكل كثيرة إلا أني بعد أن رددت هذه الكلمات ذهبت عني جميع هذه المشاكل. أريد أن أرى هذا الشيخ. أخذنا تلفونها واتصلنا بالشيخ نعمة الله الذي كان يذرع جنوب اليابان داعياً إلى الله وقلنا « يا شيخ إن امرأة تريد لقاءك. واتفقنا على أن يحضر إلى طوكيو بعد ثلاثة أيام وأخبرنا المرأة بذلك.

جاءت الإنجليزية متلفعة بملابس بيضاء، من رأسها إلى أخمص قدميها ومعها امرأة يابانية بنفس الملابس الساترة. حضر الشيخ وتم تجديد التعارف وأسلمت زميلتها اليابانية ...

توطدت العلاقات بين المركز و «روضة» وتبين أنها تجيد سبع لغات يابانية؛ فرنسية، إسبانية وبرتغالية .. إلخ ، وتعمل مترجمة وتعيش مع والديها اللذين أسلما على يد الشيخ أيضاً .. وأخيراً زوجها الشيخ نعمة الله من داعية باكستاني.

حافظت روضة على علاقاتها مع الجالية الإسلامية وكانت تخرج مع المسلمين انطلاقاً من مختلف المساجد تدعو معهم في سكون الليل. وبعد أن بدأ الكثير من سكان طوكيو يعودون لبيوتهم (اليابانيون شرقيون وطوكيو مضاءة شوارعها ومزدحمة إلى ما بعد منتصف الليل)، ومنهم من كان يخرج من الحانات.

في إحدى المرات وفي إحدى مناطق طوكيو المهمة Ikebukuro، خرجت روضة مع مجموعة من الشباب الباكستانيين المسلم يدعون المشاة العائدين إلى بيوتهم، مخترقين حديقة مجاورة. التقت روضة بإحدى المغنيات العائدات وهمست بأذنها: عندي أغنية من يرددها ويسمعها تذهب عنه كل المشاكل. بدأت روضة ترد بهدوء هذه الأغنية، حفظتها المغنية اليابانية فبدأت تنادي بصوت مرتفع للمارين في الحديقة « يا ناس أعلمكم أغنية جديدة من يرددها تذهب عنه كل المشاكل ... بدأت مجاميع من الناس تردد معها وبصوت عالي « لا إله إلا الله محمد رسول الله »...

وهكذا أشاع نعمة الله الدعوة المحمدية إلى لا إله إلا الله في كل الحالات. يعلمها الناس ويطلب من كل مسلم أن يدعو إلى « لا إله إلا الله » فهي كلمة نور تدخل الأذن وتنزل إلى القلب فتنوره. حتى ولو لم يفهم معناها. ولنا معه مئات بل آلاف التجارب التي ثبتت فعالية هذه الطريقة الرئيسية في الدعوة إلى الله...

لقد زرع الشيخ نعمة الله روح الدعوة عند الأخت روضة. فأصبح إيصال كلمة الإسلام إلى كل إنسان مهما علا مقامه همها الأول. وصل لعلمها أن أخاً للرئيس الأمريكي كلينتون يقوم بزيارة إلى اليابان. فاتصلت بالسفارة الأمريكية في طوكيو وطلبت موعداً للقائه. فرتبت السفارة هذا اللقاء. ذهبت بصحبة زوجها الباكستاني. حيث رتب الشيخ نعمة الله لهذا الزواج.

لقي الرجل. وبعد التحية بسلامة الوصول. قالت له الأخت روضة: جئنا لك بهدية فابتسم قائلاً: إن الكثير يطلبون مني هدايا. وإنه أمر نادر أن يقدم لي أحد هدايا. وهنا قدمت له الأخت روضة كتاباً مختصراً جامعاً عن الإسلام راجية إياه أن يقرأه.

أليست هذه الخطوة متابعة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل الكتب إلى ملوك زمانه. كسرى وهرقل ومقوقس مصر وباذان اليمن. يدعوهم إلى الإسلام؟ إن كل مسلم مطالب بالدعوة إلى الله. ويقول الشيخ نعمة الله: لو أن كل مسلم قام بالدعوة للإسلام لأسلم أهل الأرض خلال سنتين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بلغوا عني ولو آية).

ملاحظة: قبل الأخت روضة بمائة عام. ذهب الداعية المصري على أحمد الجرجاوي إلى اليابان عام (١٩٠٦م) ليدعو إمبراطورها إلى الإسلام. على حسب رواية رئيس وزراء اليابان الأسبق المستر أوكوما Okuma الذي أخبر بها الداعية عبدالرشيد إبراهيم الذي زار اليابان عام ١٩٠٩م وذكرها في كتابه (العالم الإسلامي) الذي قمت بترجمته من العثمانية إلى العربية. وبعده بسنتين (١٩٠٨م) ذهب الداعية المصري أحمد فضلي إلى اليابان لدعوة شعبها إلى الإسلام.

كما أن الداعية نعمة الله طالما كان يطالبني أن آخذه إلى إمبراطور اليابان لدعوته إلى الإسلام فأقول له إن لقاء الإمبراطور من أصعب الأمور. وفي إحدى المناسبات وفي حفلة لسفارة المملكة العربية السعودية في طوكيو. حضر ابن عمة الإمبراطور وكان في الثلاثينيات من العمر فقلنا للشيخ نعمة الله إن ابن عمة الإمبراطور موجود فما كان منه إلا أن بادره بأن يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فرددها ثلاث مرات وقدم له الشيخ نعمة الله اسم (محمد) ففرح بذلك. وبعد ثلاثة أشهر عاجلت المنية ابن عمة الإمبراطور.

مساهمة الهند في التواصل العلمي بين الأقطار الإسلامية

محمد سكحال

باحث برابطة العالم الإسلامي

ما اختزنه التاريخ في سجلاته من الصلة العلمية بين الأقطار الإسلامية في المشارق والمغارب، وسام من أوسمة المجد، وخصيصة من الخصائص البارزة في تاريخ أمتنا الثقافي على مداه الطويل.

وقد نشأت حركة التواصل العلمي مع نشأة المدائن الإسلامية الكبرى، فتحاً كقرطبة ودمشق، أو تأسيساً كبغداد وفاس، وانتشار العلم في مضاربها باستقطاب العلماء. ومن البواعث التي حركت ذلك التفاعل المعرفي والتلاقح العلمي، ما أنزله الله تعالى في كتابه العزيز، وأنطق به رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، في بيان فضل العلم وشرف أهله الوُعاة منهم والرواة، والترغيب في طلبه والرحلة في سبيل ذلك، والحث على بثه في الناس وبذله لطلابه. فنشطت الأمة في الاشتغال بمختلف علوم الشرع، كالحديث والفقه والتفسير والعقيدة، وما يتصل بها من العلوم التكميلية التي تجري منها مجرى الوسيلة والآلة، كعلوم اللغة والأصول والحساب والفلك، ونفقت سوق التدوين والتصنيف والنسخ والوراقة، وتنافس الطلاب في غشيان حلق العلم، ومجالس الشيوخ، وتجشموا الأسفار وقطع الأنجاد والأغوار، متنقلين بين الأقطار والأمصار، ما قصا منها والداني، في طلب الحديث النبوي الشريف ولُقِي حفظته، وكان هذا في أول الأمر، ثم صارت الرحلة سنة متبعة في طلب كل علم نافع.

وساهم كل إقليم من الأقاليم الإسلامية الشهيرة، بجزء مقسوم من العطاء العلمي في تكوين الوعاء العام للثقافة الإسلامية، وخدمة تراث الأمة وإغناء خزائنه، وسالت أوديةٌ بقدرها من كنوز المعارف في علوم القرآن والسنة والفقه والأصول والعقائد واللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا، والرياضيات والطب والفلك، وأسدى كل صقع من أصقاع العالم الإسلامي للأمة ثلة من الأعلام الأفذاذ في مختلف المجالات، أفادوا من أدركهم وسمع منهم من أهل بلادهم والوافدين عليها من الغرباء، بما بثوا من علم في الحلق الخاصة والمجالس العامة، والمناسبات المختلفة، وأفادوا من لم يدركهم من الأجيال اللاحقة، بواسطة ما حفظ عنهم تلاميذهم من علومهم، وبما ألفوا من كتب ورسائل سلمت من عاديات الزمان.

وغير خاف على ذي نباهة، أن أخوة الدين التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، وتؤلف بينهم وحدة فكرية وشعورية، وتعقد توأمة بين أوطانهم، هي الباعث الحثيث لأهل كل بلد على استطلاع ما أنتجه أهل البلاد الأخرى، والاهتمام به والحرص على اقتنائه والإفادة منه، وبهذا السبب حُملت كثير من كتب التراث من مواطن تأليفها إلى آفاق سحيقة، وانتشرت بين أهلها حتى كأنها ألفت فيها، واشترك في نقلها وتوفيرها بين الطلاب والعلماء وعمارة الخزائن بها، النّساخ الوراقون، والطلاب البحاثون، والعلماء الرحالون، والتجار المتسببون، والملوك المحبون للعلم المقربون للعلماء.

وكان - ولا يزال- الحرمان الشريفان مكة المكرمة أم القرى والمدينة المنورة دار الإسلام الأولى، واسطة بارزة في التنمية

والاستمرار للتواصل العلمي بين الأقاليم المتباعدة، بسبب تردد المسلمين عليهما حاجين ومعتمرين وزائرين ومجاورين.

وعلى الرغم من الحواجز اللغوية بين الشعوب العربية ومسلمي شبه القارة الهندية، فإنها أكثر بلاد العجم مساهمة في خدمة تراث الأمة، وتنمية للعلوم والمعارف الإسلامية، وتواصلاً مع العالم العربي عن طريق الحرمين الشريفين، ولا سيما في المائتين والخمسين سنة الأخيرة، فقد انبعثت في شتى مناحيها حركة علمية نشطة، على الرغم من وقوع البلاد تحت الاحتلال الإنجليزي، الذي أنهى دولة المغول الغزنويين الإسلامية فيها، واستولى على كثير من الآثار الهندية والكنوز المعرفية الإسلامية وغيرها، وأغنى بها المتاحف والمكتبات العامة والجامعية في بلاده، واستهدف بطغيانه وعدوانه المتجرد من كل هوادة، العلماءَ والأوقافَ ومؤسسات التعليم بدرجة خاصة ومركزة، تمهيداً لقطع صلة المسلمين بدينهم وثقافتهم وسياقهم الحضاري، وربطهم بدينه وسياقه الثقافي والحضاري.

فعلى الرغم من تلك الحقبة الحرجة العسرة التي ابتلي بها مسلمو الهند، لم تلن لهم قناة ولا استجابوا لما كان يراد بهم، بل على العكس من ذلك بذل المخلصون من علمائهم غاية ما في وسعهم، من أجل إنقاذ هوية أبناء بلادهم الدينية من الاستلاب، وتراثهم الإسلامي من الضياع، وبرز في هذه الحقبة كثير من العلماء الأعلام في مختلف العلوم ولا سيما في الحديث وفنونه، وأولعوا بجمع الكتب واقتنائها، وبذلوا في تحصيل النفيس النادر منها أموالاً باهظة، وأنفقوا الأوقات الطويلة في نسخها قبل وصول الطباعة إليهم، وأنشأوا المدارس بكثرة ولا سيما في ديوبند وما حولها، والمكتبات التي يُعد بعضُها مراكز علمية استقطبت الكثير من الطلاب والعلماء والباحثين، ومن أمثلة ذلك مكتبة خدا بخش الشرقية العامة، بمدينة بتنا في ولاية بيهار، وهي تُعد أهم مركز للمخطوطات في الهند، تضم زهاء عشرين ألف مخطوط، منها تسعة آلاف بالعربية والأخرى بلغات أخرى كالفارسية والأردية.

ومثلها مكتبة جامعة عليكرة، التي أسسها السير أحمد خان، فإنها زاخرة بالمخطوطات والمطبوعات الإسلامية العربية والفارسية والأردية والتركية، ودائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكّن، التي لها الفضل في طباعة الكثير من الكتب في مختلف الفنون الشرعية والعربية.

وأنشئت دار العلوم في ديوبند التي تخرج فيها كبار العلماء، وكانت مثالاً يحتذى لما تأسس بعدها من دور العلوم والجامعات الإسلامية، ومن أهمها دار العلوم في ندوة العلماء بلكنؤ، التي تخرج فيها كثير من رجال العلم والفكر والدعوة.

وأعلام المسلمين الذين أنجبتهم الهند في القرون الثلاثة الأخيرة، بدءاً من الإمام شاه ولي الله الدهلوي(١١١٠ - ١١٧٦هـ)، كثيرون لا يكاد يحصيهم العد، عرف بهم وبجهودهم العلامة الطبيب عبد الحي الحسني الندوي، في كتابه الفذ في تاريخ أعلام الهند المسمى نزهة الخواطر، وتجاوزت شهرة الكثير منهم النطاق الهندي، فعرفوا في عالمنا العربي بسبب غزارة إنتاجهم في التأليف والتحقيق، وأثرهم العظيم في نشر العلم والدعوة والإصلاح والذب عن الإسلام، ويكفي أهل الهند شرفاً في خدمة السنة وفخراً بما أسدوا من أعمال جليلة إلى إخوانهم العرب، أن أخرجوا لنا رجالاً من أمثال أشرف علي التهانوي وأنور شاه الكشميري، وخليل أحمد السهارنفوري، وشمس الحق العظيم آبادي، وعبدالرحمن المباركفوري، ومحمد زكريا الكاندهلوي، وثناء الله الأمرستري مباهل القادياني المتنبئ، وعبدالحي اللكنوي، وصديق حسن خان القنوجي، وأبي الحسن الندوي، وأخرجوا لنا من الكتب أمثال عون المعبود في شرح سنن أبي داود، وتحفة الأحوذي في شرح الترمذي، وأوجز المسالك في شرح الموطأ، وفيض الباري في شرح البخاري، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، وتحقيق تحفة الأشراف للمزي، وطباعة الكثير من الكتب الحديثية قبل أن تطبع في بلادنا العربية.

فلكم منا يا أهل الهند جزيل الشكر، وجميل الاعتراف بما أسديتم لنا من التآليف والتحقيقات العلمية العظيمة، التي خدمتم بها الإسلام، ولا سيما في مجالي السيرة والسنة النبوية، وهما أهم ما يعتمد عليه في الدعوة والتعليم الإسلامي، بعد كتاب الله تعالى.

دور الإعلام العربي في التصدي لظاهرة

الإرهاب

الخرطوم: د. محمد خليفة

دعا الرئيس السوداني عمر البشير جامعة الدول العربية لتبني تعريف المجمع الفقهي الإسلامي للإرهاب بأنه العدوان الذي تمارسه الجماعات والأفراد والدول على الإنسان في عرضه ونفسه ودينه وماله. وقال: « العدوان يشمل التهديد والتخويف والحرابة وقطع الطريق وتعريض حياة الناس للخطر وإلحاق الضرر بالبيئة والموارد الوطنية سواء كان فعلا جماعياً أم فردياً». في إشارة إلى التعريف الصادر عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في الدورة السادسة عشرة في شوال عام ١٤٢٢هـ.

جاء ذلك عند مخاطبته الجلسة الختامية لورشة عمل «دور الإعلام العربي في التصدي لظاهرة الإرهاب» التي عقدتها جامعة الدول العربية بالتعاون مع وزارة الإعلام السودانية في الخرطوم ضمن جهودها لدراسة ومعالجة ظاهرة الإرهاب.

وقال البشير إن أسباب الإرهاب تتمثل في الفهم الخاطئ للمفاهيم الشرعية والانحراف عن الفهم الصحيح للدين القائم على الوسطية . مبينًا أن الأسباب السياسية تتمثل في الذل والظلم والاستبداد وغياب العدل الاجتماعي وعدم توزيع الموارد بالتساوي بين الأمم والشعوب . بجانب التحيز العالمي لبعض الدول دون مراعاة لتحقيق السلم والأمن الدوليين.

وخلال المداولات للأوراق المقدمة دعا عدد من المشاركين إلى ضرورة التصدي لظاهرة الإرهاب بالوسائل الفكرية والعلمية والوسائل الحوارية. محذرين من استخدام الإرهابيين لوسائل الإعلام وتسخيرها في تنفيذ مخططاتهم ضد الأمة .

وناشد السيد محمود عبدي حسن وزير الدولة بوزارة الإعلام الصومالية الدول العربية والإسلامية لمساعدة الصومال في

مواجهة الإرهاب، لافتًا إلى عجز دولته عن التصدي لمكافحة الإرهابيين لقلة إمكانياتها في معالجة هذه الظاهرة.

وشدد ممثل ليبيا في الورشة المستشار عبد الله العشي على ضرورة الوقوف مع الدول التي تحارب الإرهاب، ووقف نزيف الدم العربي، وقال: «نحن قادرون على التصدي لداعش لأننا عايشناهم لمدة ثمانية أشهر وحاورناهم لعدة أشهر ولكن هؤلاء الجماعة لا يجدي معهم الحوار، ولا علاج لهم إلا باستئصالهم».

ودعا اللواء محمد خوجلي الأمين المحاضر بالأكاديمية العسكرية العليا بالسودان الإعلاميين إلى تعديل كلمة الإرهاب واستبدال كلمة الإرعاب والترويع به.

بينما دعا الأستاذ حسن الرشيدي الناقد والكاتب القطري لضرورة عمل دراسة حقيقية لظاهرة الإرهاب وحماية الأبرياء الذين يتعرضون لغسيل مخ ويدفعون الثمن نتيجة التحاقهم بالإرهابيين، ودعا وسائل الإعلام العربية إلى القيام بدورها الحقيقي في تقديم ما يلائم الواقع الماثل.

وكشف الرشيدي أن اتحاد الإذاعات العربية عقد اجتماعاً في الخرطوم عام ١٩٧٠م، وتم الاتفاق فيه على برنامج شهري موحد يتم بثه من إحدى المحطات العربية، ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم لم يبث ذلك البرنامج، وطالب بأن تقوم وزارات الإعلام بدورها تجاه المجتمع على الوجه الأكمل حتى لا يحدث خلل في المنظومة الاجتماعية والسياسية، وأعرب عن أمله في أن تضع ورشة الخرطوم النقاط على الحروف وتقدم ما يلائم الواقع المعاش، وألا تكون ذكرى يتناولها المتحدثون في المنابر.

وأشار محمد محمود ولد محمد من البرلمان الموريتاني إلى أن موريتانيا لها تجربة في محاورة المتطرفين ومقارعتهم بالحجة، مؤكدا أنهم في غالب الأحوال شباب مُغرر بهم لحداثة سنهم وعدم تجربتهم في الحياة، مؤكدًا أن عدم رعاية الشباب من المجتمع والدولة سيجعلهم فريسة للمدارس التكفيرية وغيرها.

وأشار المهندس محمد عبد الرحيم مدير المركز القومي السوداني للمعلومات إلى تجربة السودان والإسهامات التي قدمها في التصدي لظاهرة الإرهاب ومحاورته مع أكثر من ٢٦٠ شابا تأثروا بالأفكار الإرهابية حيث اقتنع عدد كبير منهم، واندمجوا مع المجتمع، مبينا أنها تعد نموذجًا يُحتذى، وقال: «الإعلام الجديد يعتبر الخطر الدائم على الدول والمجتمعات، ولا بد من وضع فقه جديد للتعامل مع هذه الظاهرة».

وقال المستشار الإعلامي للسفارة اليمنية بالقاهرة هاني الأصبحي إن عملية التصدي لظاهرة الإرهاب تأتي بالتنسيق مع الأجهزة المختلفة في الدول، وإن الإعلام له دور توعوي في هذا الجانب ، ونوه إلى أن الإرهابيين سيطروا على وسائل الإعلام في اليمن واستخدموا هذه الوسائل التي تثير حفيظة الناس ويتأثر بها الشباب.

وضمن فعاليات الورشة استضافت جامعة إفريقيا العالمية ندوة علمية بعنوان (مناهج التعليم ودورها في التصدي لظاهرة الإرهاب) بحضور السفير أحمد بن حلي نائب الأمين العام لجامعة الدول العربية، والدكتور أحمد بلال عثمان وزير الإعلام السوداني، والسيد محمود عبدي حسن وزير الدولة بوزارة الإعلام الصومالية إلى جانب عدد من ممثلي وزارات الإعلام العربية وأساتذة وطلاب الجامعة.

تحدث في الندوة البروفسور كمال عبيد مدير جامعة إفريقيا العالمية عن تجربة جامعة إفريقيا العالمية في التصدي لظاهرة الإرهاب، مشيراً إلى أن ظاهرة الإرهاب مرتبطة بالسلوك البشري وأن التعليم هو المدخل لتعديل السلوك، لذلك انتبهت جامعة إفريقيا العالمية لهذا الجانب وحرصت على وضع مناهج وبرامج تربط الطلاب بالمجتمع، وأتاحت الجامعة لطلابها فرص العمل الميداني والتغلغل داخل المجتمع السوداني الذي يتمتع بدرجه عالية من التسامح.

واتهم مدير جامعة إفريقيا العالمية عددًا من الجهات بجر الطلاب للانضمام للجماعات الإرهابية والمتطرفة لتجريم السودان، وطالب الجامعة العربية ووزارة الإعلام بالوضوح والصراحة والكشف عن الجماعات ذات المواقف المسبقة عن الإسلام والتي تحاول أن ترمي كثيرًا من المؤسسات بالإرهاب ولا تفرق بين متطرف وغيره.

وأضاف بروفيسور عبيد أن هناك بعض الجهات كانت تستخدم ظاهرة الإرهاب دون تعريف محدد لها لأغراض سلبية بدأت تتضح الآن، مشيراً إلى أن بعض الجهات حاولت استثمار عدم تعريف الظاهرة بدقة وتركها غامضة للنيل من بعض المؤسسات المستهدفة.

وأكد أن جامعة إفريقيا العالمية درجت في مناهجها على تنمية مقدرة الطالب على التعامل مع المجتمع وذلك من خلال جعل العمل الميداني المجتمعي جزءا من مطلوبات الجامعة لقيادة الطلاب والمتعلمين إلى الطريق المستقيم.

وأبان أن بيئة الدراسة في الجامعة مواتية نسبة للتسامح لدى المجتمع السوداني الذي كان له الدور القوي في التحصين ضد التطرف، لافتا إلى أن المناهج الجامدة والخيارات القطعية مضرة في خيارات الباحث ، مشيرا إلى تدريس الطلاب ضمن مواد الجامعة نماذج من واقع بلدانهم حتى لا تحدث قطيعة بين الطالب وثقافته.

في ذكرى الهجرة

بقلم: د. محمد مبارك البندارى

جامعة أم القرى

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة للمدينة حدث ضخم حمل الرسالة الخاتمة إلى بيئةٍ جديدة لا تَعرف الذُّل أو العبوديَّة ؛ فهي رسالة الكرامةِ والعزَّة والإباء .

غيّر هذا الحدث مجرى البَشريَّة ، وحقَّق الحريَّة للنَّاس جميعًا؛ فليس هناك مكان للطغاةِ الذين ناصبُوا الدَّعوة الإسلاميَّة العداء وأذاقوا أتباعَها ألوان الأذَى، لكي يظلّوا على دين الآباءِ.

فقد الرسولُ الأمل في مكَّة ، فقد صيَّرها المشركون بيئة فاسدة؛ بسبب حصارهم الاقتصادي لأتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - وإيذائهم ، وتعذيبهِم ،؛ لذا فهي لا تَصلح لنشر تلك الدعوةِ الجديدة.

كانت الهجرةُ عملًا منظَّمًا يخضعُ للتخطِيطِ العلمي الدقيق، والأخذِ بالأسبابِ ، وكان هذا هو العامل الرئيس لنجاحها، وآية على أنَّ التوكل الحقّ على الله يجب أن يصحبه العمل المخلص والسعي المُمكن ، رغم أنَّ الله قادر على أن يأخذ نبيه في لمحِ البصر إلى المدينة دون عناءٍ أو تعبٍ ، ولكن لكي نتعلم التَّخطيط الجيد في حياتنا ، فهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - والصدّيق أبوبكر - رضى الله عنه - يغادران المنزل في وقت الظهيرة من خوخة في ظهره (أي كوّة) مشيًا إلى منزل ثان لأبي بكر في أسفل مكة جنوبها آخر المسفلة ، وفيه تمّ استئجار الدليل من قبلهما وتسليم الرّاحلتين له ، وتحديد موعد القدوم إليهما بعد ثلاث ليال ، ولما حلّ الظلام خرجَا منه ماشيين على أقدامهما إلى غار ثور ليدخله الصّديق أولًا ثم النبي - صلى الله عليه وسلم -.

واختيار طريق غير مألوف ، ويستأجرا دليلًا خبيرًا بالطريق أمينًا على السّرّ حفيظًا عليه ، من غير أتباعه «عبدالله بن أريقط الليثي» .

وتأتي بالطعام أسماء بنت أبى بكر - ذات النطاقين - وهى حامل، وتصعد الجبل الوعر ، وخلفها من يعفي آثارها ويمحوها . وعلي بن أبى طالب ينام في فراش النبي ليرد الأمانات إلى أهلها ، وأما دور عبدالله بن أبى بكر فهو نقل أخبار مكة والمبيت عندهما، ودور عامر بن فهيرة في رعي الأغنام لتزويدهم باللبن ، ولمحو

آثار أقـــدام عبدالله. تخطيط جيد يعلمنـــا التوكل على الله حق توكله، وألا نستســـلم إلى الوهـــن بالتواكل والركون إلى الكســـل والدعة ، وأنّ لكل واحد منا دوره الذى يجب أن يقوم به في مجتمعه.

والهجرة إلى المدينـــة كانت لغايةٍ كبرى وهـــي إقامةُ الدَّولة على مبـــدأ الحُريَّة والمواطنَة ، وهى بهـــذا تختلفُ عن الهجرة إلى الحبشة التي كانت من أجل الأمن والأمان، أي الإيواء المؤقّت حتى يجعل الله فرجًـــا للمؤمنين مما هم فيـــه من اضطهادٍ وإرهاب.

ومما يدعُو للدهشـــة أن يَقبل « الأوس والخزرج » أن يحمُوا دَعوة وليـــدة ، ليسَ في بـــلادِ العرب كلّها مـــن يُعيرها أدنَى عطف، أو يرجُو لها أقـــلّ نَجَاح ، فصَاحب الدَّعوة تُطـــاردهُ قريش ليل نهار، وليس مع الأوسِ والخـــزرج من العتادِ والثَّروة ما يجعلهُم يواجهُون أهـــل الجزيرةِ العربيَّةِ ، ولكنَّ الله حوَّل ضعفهم قوَّة وخوفهـــم أمنًا وفقرهم غِنـــى وعزًّا ، وجعـــل الجِهاد غايتهم والشّـــهادة أمنية شبابهم وشـــيُوخهم ، فلم تقدر قوّة على الوقوفِ في طريقِ نصرتهم لنبي الإسلام.

وتحوَّلـــت - أيضًا - حروبهم فيما بينهـــم ، إلى اعتصام وقوة. ومـــا يوم بُعاث وهو آخر أيام الحـــرُوب بين الأوس والخزرج عنهم ببعيد ، وأذكى اليهود الذين ســـكنوا معهم بعدما هربوا من اضطهادات الرّوم أسباب الشقاق والصِّراع بينهما ؛ لتضعف قوتهم ويفنَـــى رجالهم فيكون لليهود النفوذ والســـلطان. تحولـــت الضغائن والإحن إلـــى محبة وإخـــاء وأصبحوا إخوة متحابّين بعد أن كانوا أعداء متحاربين.

وإذا كان الإيمـــان قد غيَّـــر الأوس والخزرج وجعلهـــم يدًا واحدةً وكانـــوا بالأمس القريب يَقتتلُون ، فهـــو الذى حمل المهاجرين على أن يَدعوا كلّ شيء في مكة ، ويفرّوا بعقيدتهم إلى اللّهِ ورسولهِ .

ولمّـــا كانت الهجرة إلى المدينة دار الإيمـــان بداية لإقامةِ الدولة الإســـلامية ، ورمزًا للإيثار والبطولات الفريـــدة ، والتَّضحيَّات الرَّائعة ، والتَّنظيـــم العلمي الدَّقيق ، اختار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حادثة الهجرة لتكون بداية لتاريخ المسلمين. والعربُ قبل الإسلامِ كانوا كغيرهم من الأمم يؤرِّخون بالأحداثِ العظيمـــةِ التي تمـــرّ بهم وتؤثّـــر في حياتِهم كأيـــام العرب المشهورة في حرُوبهم ، وكحادثةِ الفيل ،وحرب الفجار. وحينما تمّ إنشاء الدّواوين واتسعتْ رقعة الدَّولة الإسلاميَّة وتشعَّبت فرُوعها وتعدَّد نشـــاطها احتاجُوا نظاماً ثابتاً للتاريخ ينسب إلى نقطةٍ زمنيّةٍ معيّنـــةٍ ، وتَتبعه الدَّولة في جميعِ أنحائهَا. فجمـــع عمر - رضى الله عنه - في العـــامِ الثالث من خلافته وجوه الصَّحابة ، وقالَ لهُم : « إنَّ الأموالَ قد كثرتْ وما قسمنا منهـــا غير مؤقت - أي غير محـــدّد بتاريخ يضبط به - فكيف التَّوصل إلـــى ما يضبط به ذلك ، ولقد رفـــع إليّ صكّ محلّه شعبان فلا أدري أي شعبان هو ؟ الذى مضى ، أو الذي نحن فيه، أو الآتي ؟ ضعوا شيئًا للناس يعرفُونه» .

وتناقـــش الجمع الأمر فمنهم من قال اكتبوا على تاريخ الرُّوم ، وقال قائل اكتبوا على تاريـــخ الفُرس ، وأراد الفاروق أن يجعله على مبدأ لحادثٍ إســـلامي ، فأشـــار بعضهُم بأن يجعلوهُ من بعثةِ الرَّسول ، أو من عند مولده ، أو من وفاة النبي - صلى الله عليه وســـلّم - ، وأشار علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يجعلوه منذ خرج النبي - صلى الله عليه وســـلّم - من أرض الشرك ، يعني يوم هاجر من مكّة إلى المدينة ، فراقت الفكرة لأميـــر المؤمنين عمر بن الخطاب والمســـلمين ، فاتّفقوا على أن يكون مبدأ التاريخ من سنةِ الهجرة .

ثم تعدَّدت آراؤهم حول بدايةِ السَّنة ، فالهجرة حدثتْ في أواخر شـــهر صفر وأوائل ربيع الأول - على أصحّ الأقوال - ، واستقرّوا علـــى الأخذ برأي عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بأن يؤرّخوا من المحرّم أول الســـنة وهو شـــهر حرام ، وأول الشّـــهور في عدّة العام ، وهو منصرف النّاس من الحجّ وأول شـــهر يفرغون فيه إلى أعمالهم بعد اشـــتغالهم بالمناسِك ، وبذلك رَجعوا نحو شـــهرين وجعلـــوا التاريخ من أول محرم هذه الســـنة ، وكان الزَّمن بين الهجرةِ واتّخاذها مبدءًا للتّاريخ سبعة عشر عامًا.

وبهذا يتبيَّن لنا أنّ ارتباط ذكْرى الهجرة كل عام بشـــهرِ المحرم بســـببِ بداية التَّاريخ ، وإلَّا فإنَّها لم تقع في هذا الشَّهر وإنَّما في أواخـــرِ صفر وأوائل ربيع الأول ، وســـيظل التَّاريخ الهجري خاصّة للمسلمين والعرب إلى أن يرثَ الله الأرض وما عليها.

وعلينـــا أن نتذكر أنّنا نواجـــه أخطارًا بالغة الأثـــر في ذكرى الهجـــرة ، وأنّه يجب علينا أن نعمل بإخلاصٍ ودأب على دفعها والقضـــاء عليها ، ولا ســـبيل لهذا غير وحْدة تتســـامى فوق الأشـــخاص والرَّغبات والأهواء ، وهو واجب تتقاضاه العقيدة قبل أن يتقاضاه حق الحياة .

نظرات في قصة
نبي الله صالح
عليه السلام

د. أحمد عبد الحميد عبد الحق

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى .. وبعد ..

فقد تناولت في حلقة سابقة من حلقات القصص القرآني قصة نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ وبينت كيف كانت عاقبة المكذبين من قومه بأن أغرقهم الله عز وجل في لحظات معدودة ، وطهر الأرض من رجسهم ، بعد أن أمضى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ عشرة قرون يجتهد في دعوتهم إلى الله صباح مساء ، ويتودد إليهم دون جدوى ، وذكرت في ختام القصة أن الله وحده قادر على أن يأتي على ما تسويه البشرية الآن وفي لحظات قليلة أيضا إذا أصر المترفون على عنادهم ، وتنطبق عليهم سنة الله سبحانه وتعالى التي قررها في قوله : « وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ » (هود: ٤٨) ...

واليوم بمشيئة الله سبحانه وتعالى أتناول قصة نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ الذي بُعِث إلى قومه ثمود الذين كانوا يسكنون بمنطقة الحِجر الممتدة من المدينة المنورة حتى منطقة الرملة بفلسطين ، وقد أبطرتهم النعمة وما أوتوه من قوة ومنعة ؛ حتى صاروا يتأملون في بيوتهم المنحوتة في الجبال ، وهي في غاية الحسن والمتانة والعظمة ؛ فيحسبون أنهم أوتوا ما لم يؤته أحد من قبلهم ، وأنه لا قوة في الكون تستطيع أن تنال منهم وهم يقطنون تلك الحصون ، فكفروا وطغوا وبغوا ؛ فأرسل الله عز وجل إليهم صالحا ـ عليه السلام ـ لينبههم ويرشدهم ويحذرهم من مغبة ما هم عليه من كفر ونكران ، فجاء إليهم وناداهم بالنِداء الذي نادى به كل الأنبياء قومهم وقال: « يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » (الأعراف: ٧٣).

ثَم أخذ يذكرهم ـ عليه السلام ـ بنعم الله التي تستوجب عليهم أن يشكروه وأن يعبدوه وحده دون سواه ، فقال :«هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ » (هود: ٦١) ..

ويبدو أنه ـ عليه السلام ـ كسائر الأنبياء قضى الجزء الأول من حياته قبل مبعثه مستقيما بعيدا عن الرذائل ؛ محبا للفضائل ؛ مساعدا للمحتاجين ؛ صادقا في تعامله معهم؛ لا يقصر في إسداء الرأي والنصح لهم ، ولكنه لم يتعرض لسلوكياتهم ومعتقداتهم التي تغضب الله سبحانه وتعالى بنقد ، فرضوا بذلك منه ، ولم يعاتبه أحد من قومه على ذلك الصلاح وتلك الاستقامة ، فلما أمر بتبليغ رسالة ربه ، وبدأ يأمر بالخير وينهى عن الشر ، رأى فيه أصحاب المصالح والشهوات والنزوات خطرا عليهم فقالوا له : «يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا » (هود : ٦٢).. وهذه شهادة له تشبه شهادة أهل مكة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : «ما جربنا عليك كذبا» ..

ولكي يجدوا لأنفسهم ذريعة في عدم اتباعه رغم أنه كان مرجوًا فيهم قبل ذلك قالوا : « أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» (هود : ٦٢)..

إنه نفس الخطاب الذي استخدمه كل المجادلين مع أنبيائهم بداية من نوح وانتهاء بمحمد ـ صلى الله عليهم جميعا ـ وهو نفس الخطاب الذي يجابه به المعارضون الدعاة والمصلحين الآن ، مع تغير فقط في المفردات التي تتبدل وتتغير كل عصر مع بقاء المعنى..

وكان رد صالح ـ عليه السلام ـ أنه لا يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، ولا يدعوهم إلى الخير إلا امتثالا لأمر الله عز وجل الذي كلفه بأداء رسالة هو أمين في تبليغها ، فقال : «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » (الشعراء ١٤٣ - ١٤٤).

ودائما وأبدا فإن أول شيء يثيره المعاندون لدعوة الله سبحانه وتعالى هو موضوع المكاسب التي يهدف إلى تحقيقها الرسول من وراء دعوته ، وأنه يبغي ... ويبغي .. فيجيء الرد الحاسم عليهم : « وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الشعراء: ١٤٥)وهكذا أجابهم صالح ـ عليه السلام ـ فهو وكل نبي قبله وبعده يقضون الليل والنهار في دعوتهم ، تاركين أعمالهم ومشاغلهم ، بل مضحين بأموالهم وبكل ما يملكون في سبيلها من أجل الله عز وجل، وشفقة وحبا في قومهم ..

والإنسان غالباً ما يلجأ إلى الجحود والنكران إذا اغتنى وكثر ماله وجاهه ، وأحس أنه لا يحتاج لأحد أو يخافه ، وهكذا كان حال قوم ثمود ، فذكرهم صالح ـ عليه السلام ـ بأن هذا الغنى الذي يعيشون فيه ، والرفاهية التي ينعمون بها ، لن تدوم معهم ، وإن دامت فلن يخلدوا لها ، ولابد أن تنزع منهم يوما ما أو يُقبضوا هم ويتركونها ، فقال لهم : « أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ» (الشعراء: ١٤٦ - ١٤٨) هذا لن يكون لهم ، وإلا فليتفكروا في حال عاد قبلهم وما حل بهم .

ولكنهم أبوا أن يصدقوه وقالوا له : « إِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ » (هود: ٦٢) مع إن مساكن عاد التي لم تسكن بعدهم باديةً للعيان ، وأخبارهم معروفة لديهم ؛ لا تحتاج لمن يقصها على مسامعهم .

وكأني بهم بعد أن ردوا عليه بهذا التشكيك ذهب فريق منهم إليه في صورة الناصح ؛ ليذكره بحاله قبل أن يقوم بدعوة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه كان مقبولا لدى الجميع لم يعتب عليه أحد في شيء ، وأنه ينبغي أن يعود إلى ما كان عليه ويترك دعوته ورسالته ، ويترك الناس وشأنهم ، وينشغل هو بنفسه ، وهو كلام قد يسمعه الكثيرون ممن يعملون في مجال الدعوة إلى الله في البلاد التي تحارب الله ورسوله ، فجاء رده ـ عليه السلام ـ عليهم « يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ » (هود : ٦٣) أي بترك دعوته وتبليغ رسالته ؛ لأن ترك الدعوة إلى الله من أكبر المعاصي ، ثم رد على هؤلاء الذين يظهرون في صورة الناصحين له الخائفين عليه بقوله: «فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ » (هود : ٦٣)..

ولما كان أقرب الناس إليهم زمانا ومكانا كما قلت من قبل هم قوم عاد فقد ذكرهم بمصيرهم وقال : « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (الأعراف : ٧٤) فواجهوه بمثل ما واجه به السابقون أنبياءهم ، حيث كفر أكثرهم ، ولم يؤمن معه إلا قلة لم تكن تملك من المال والمتاع والجاه ما يجعلها تنشغل به عن التفكير في مآلها بعد الموت ، وصاروا ملازمين له متبعين لهديه ؛ لكن الغالبية الكافرة المشركة لم تتركهم وشأنهم، وإنما صاروا يحتكون بهم ، ويضيقون عليهم ، ويشككونهم في صدق ما يدعوهم إليه نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: « قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ » (الأعراف: ٧٤).

وكان هؤلاء المستضعفون المؤمنون أكثر أدبا مع نبيهم ، فلم يقولوا لهم : نعم إنا نعلم أنه مرسل من ربه ، وإنما قالوا : «إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ » (الأعراف: ٧٥)..

أي أنهم لم يؤمنوا بكونه رسولا من الله عز وجل فقط، وإنما هم مؤمنون مصدقون بكل ما يقوله لهم ويعدهم به، فمن الممكن أن نجد في دنيا البشر من يقولون : إنهم مؤمنون بالله وبرسوله ، ولكن إذا ما طُلب منهم الالتزام بما جاء به الرسول من عند ربه من أوامر ونواهي أعرضوا ، وهم صنف مريض رخو من البشر لا تبدو فيهم صلابة المؤمن في إيمانه، ولا قساوة الكافر في كفره ، ولذلك قال عنهم المولى عز وجل : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» (البقرة: ٨ - ١٠).

المهم أن قوم ثمود لما رأوا الصلابة في إيمان من اتبع صالحا ـ عليه السلام ـ قالوا لهم : « إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» (الأعراف : ٧٦) كأنهم يعاقبونهم بتلك الفعلة ..

ثم اتجهوا إلى صالح ـ عليه السلام ـ وأخذوا يرمونه بالكذب تارة ، وبالسحر أخرى ، فقالوا له : « إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» (الشعراء : ١٥٣) ويلجّون في جداله ويقولون : « مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » (الشعراء : ١٥٤) أي ليس لك من الفضل ما يستوجب الطاعة لك ..

وهذا الجدال كان أكثره نابعا من المسرفين الطغاة المفسدين المستبدين منهم الذين يرون في إيمان عوام الناس ضياعا لمجدهم ، ولذا التفت صالح ـ عليه السلام ـ إلى العوام دون سادتهم وقال : « وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ» (الشعراء : ١٥١ - ١٥٢)..

ولكنه لم يجد لهم آذانا صاغية ، فقد وقعوا تحت سيطرة سادتهم ، وأراد الجميع أن يعجزوه فقالوا له : « فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » (الشعراء : ١٥٤).. فأتاهم الله بما طلبوا ، وأخرج لهم من بين الصخور الصماء ناقة ، وشاهدت أعينهم منظر خروجها المذهل ، والصخرة تتفتق لتخرج من بينها ، كما جاء على لسانه ـ عليه السلام ـ حيث قال : « هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (الأعراف: ٧٣)..

ثم جعل الله لهم في درها اللبن الوفير الذي يأخذ منه كل واحد حاجته دون أن ينضب ، فقال عز وجل على لسان صالح ـ عليه السلام ـ : « هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الشعراء: ١٥٥)..

وكان ـ عليه السلام ـ قد قسم مياه البئر بينهم وبينها ، بحيث يخلونه لها يوما ؛ كي لا تنفر منهم ومن دوابهم ، ويجعلون لهم يوما يأخذون منه ما يشاؤون لهم ولدوابهم ، وسائر أنعامهم ..

والنعمة التي أعطاها الله لهم في مقابل ذلك أن الماء الذي كانت تشربه تلك الناقة كان يتحول كله بقدرة الخالق عز وجل إلى لبن في درها ، فتطوف على منازلهم ؛ فيحلب كل واحد منها ما يشاء حتى يستكفوا جميعا ..

وأي نعمة أسبغ من أن يحول الله عز وجل لهم الماء إلى لبن من خلال تلك الآية ، ثم توصله لهم إلى مداخل منازلهم ، دون أن تكلفهم عناء المجيء إلى مرقدها ؟!

ولكن ـ ويا للعجب ـ أصر الطغاة على أن يتخلصوا منها لا لشيء إلا ليمنعوا الناس من التفكر في قدرة الله وعظمته (كلما رأوها) فترق قلوبهم للإيمان به ، ولا لشيء إلا ليمنعوا فضل صالح ـ عليه السلام ـ على المعدومين والفقراء منهم.. وتحدث بعضهم إلى بعض في هذا الأمر (أمر التخلص منها) حتى شاع الخبر ووصل لصالح ـ عليه السلام ـ فحذرهم من مغبة ذلك ، والعاقبة التي تحل بهم من الله عز وجل إن هم أقدموا على مثل هذا الفعل الشنيع ، وقال لهم : « وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (الشعراء : ١٥٦). فأظهروا عدم مبالاتهم بما توعدهم به ، وتحدوه أن يأتيهم بعذاب الله ، فرد عليهم ـ عليه السلام ـ بقوله : « يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النمل : ٤٦)..

ولكنهم لم يلتفتوا لقوله ، وإن ظلوا هيابين للأمر حتى خرج شرهم وأشقاهم فترصد بها حتى نحرها، كما قال الله عز وجل : « إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ

وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا » (الشمس : ١٣ ، ١٤).
والإنسان غالبا ما يقدم على معصيته بتهور وتحت دفع وتحريض من الشيطان دون أن يتفكر في عاقبة تلك المعصية، وبعدها يندم ولا ينفع الندم ، وهذا ما حصل من قوم ثمود، يقول الله تعالى : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (الشعراء: ١٥٧ ، ١٥٨)..
ولم يبق شيء بعد اعتدائهم على آية الله سبحانه وتعالى غير أنه تحل عليهم نقمته ، ولذلك قال لهم صالح ـ عليه السلام ـ : « تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» (هود : ٦٥)أي وبعد الأيام الثلاثة سيأتيكم موعود الله الذي استعجلتم به ..
وكانت تلك فرصة لهم ليراجعوا أنفسهم ويرجعوا لرشدهم قبل أن تنتهي المهلة المحددة لهم ، خاصة وأنهم يعلمون أن صالحا ـ عليه السلام ـ صادق في كل ما يحدث بهم ، ولكن ـ للأسف ـ استمرؤوا المعصية ، وصاروا يحتكون به ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه ، والصراع يشتد بينهم يوما بعد يوم ، ومن سنة الله سبحانه وتعالى أنه عندما يشتد الصراع بين الأنبياء وقومهم أو بين المصلحين وشعوبهم تكثر الكوارث ويحل البلاء ، كمؤشر على قرب مجيء الهلاك الأكبر ، وبدلا من أن يتوبوا لربهم يتهمون أنبياءهم بأنهم السبب فيما حل بهم ، وينظرون إليهم نظرة تشاؤم ، وقد فعل ذلك قوم ثمود عندما قالوا لصالح ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه : «اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ» أي تشاءمنا بك وبهم ، فرد عليهم صالح ـ عليه السلام ـ بقوله : « طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ » (النمل : ٤٧)أي تختبرون به..
وبدلا من أن يسعوا لرفع البلاء الذي حل بهم ، ويصطلحوا مع صالح ـ عليه السلام ـ ويتبعونه قبل أن تنتهي مدتهم كما قلت من قبل ظلوا على عصيانهم ، وتركوا شياطينهم يدبرون لقتله ، يقول عز وجل : « وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ » (النمل : ٤٨ ، ٤٩).
دبروا أمرهم وهم لا يخافون رب صالح وإنما يخافون من قومه، ويا لتعاستهم : إنه من الممكن لهم أن ينجوا من عقاب أهل صالح ـ عليه السلام ـ أو وليه بالقسم لهم أنهم ما ارتكبوا الجريمة ولا يعرفون عنها شيئا ، فكيف برب صالح الذي تكفل بحفظه ورعايته وحمايته ؟!!.
وفي تعبير جميل يقارن الله عز وجل بين تدبيرهم لقتله وبين حمايته المتوفرة لصالح ـ عليه السلام ـ فيقول « وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ» (النمل : ٥٠ ـ ٥١)..
هم دبروا ورتبوا وأعدوا أسلحتهم ، وهذا مكرهم ، والله عز وجل لم يدبر لهم سوى أن أرسل عليهم رجفة أو صيحة من السماء ، صاروا بعد سماعها جاثمين في الأرض ..
ووجه إليهم صالح ـ عليه السلام ـ آخر عتابه لهم قبيل فنائهم بقوله : « لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» (الأعراف: ٧٩) إنه لم يقصر في تبليغهم رسالة ربه ، ولا في نصحه لهم ، فليذوقوا إذن جزاء إعراضهم ..
ثم جعل الله عز وجل ديارهم آية لمن بعدهم ،فقال سبحانه وتعالى : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (النمل: ٥٢) .
ولفظة خاوية تشير إلى أنها لن تسكن ولن تعمر بعدهم أبدا ، إذ صارت ملوثة موبوءة ، لا يصلح للحياة ماؤها ولا هواؤها ؛ حتى إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لما مر بتلك المنازل في طريقه إلى غزوة تبوك أمر ألا يدخل عليها أحد من أصحابه ، وألا يقربوا ماءها ، ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بعض الناس أخذوا من مياه بعض الآبار حول المكان وعجنوا به طعامهم نهاهم أن يأكلوا منه ، وأن يريقوا القدور التي وضعوا فيها ماء للطبخ ، لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم ، ربما كانت ارتفاع الأشعة المضرة بتلك المنطقة ؛ وكان من كمال حرصه صلى الله عليه وسلم على صحة أصحابه أن نهاهم عن التعمق داخل منازلهم قائلا : «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم » (مسند أحمد بن حنبل جـ٢ صـ١١٧).
والصيحة أو الرجفة التي حلت بهم كانت كفيلة بأن تقضي على كل مظاهر الحياة ، ولكن الله سبحانه وتعالى حمى وحفظ وصان برحمته من آمن مع صالح ـ عليه السلام ، كما قال عز وجل : «وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (النمل: ٥٣).
وقدرة الله سبحانه وتعالى تتجلى للمؤمن في كل شيء، لكنها تكون أكثر تجليا في حفاظه على عباده المؤمنين سالمين آمنين وسط الهلاك المدمر الذي يصب على الكافرين حولهم ، وهذا ما يجعلنا ـ نحن المؤمنين ـ نتحرك على الأرض مطمئنين ، وكلنا ثقة به لا نخشى من تقلبات الدهر ولا عواقب الأمور ما دمنا موحدين له ، كما قال خليل الرحمن عليه السلام: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» (الأنعام :٨٢) .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
والعلاقة مع الآخر

د. أحمد بوعود

جامعة عبد المالك السعدي- المغرب

تعتبر مرحلة الخلافة الراشدة مرحلة مرجعية في التاريخ الإسلامي؛ ذلك أنها تمثل نموذجا أصيلا للحكم الإسلامي الرشيد. وليس هذا بغريب ما دام الصحابة رضي الله عنهم قد تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد كانوا رضي الله عنهم يعرفون مسؤولياتهم وواجباتهم، وحدود أماناتهم، لعمق إيمانهم وعلمهم بأحكام الله، واستيعابهم لمنهاج النبي صلى الله عليه وسلم، وفقههم لأسباب التنزيل، ومقاصد الشرع. وكل هذا أهلهم لأن يكونوا أئمة الفقه وحكام الدولة، وبالتالي نماذج للاقتداء في العلاقة مع الآخر.

إن الهدف الرئيس من هذه المقالة هو عرض صور من العلاقة مع الآخر في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك من أجل استخلاص تصور واضح عن العلاقة مع الآخر في عصر عرف بتعددية دينية ومذهبية تصل بالإنسان إلى اضطهاد أخيه الإنسان وتصفيته.

١- الرأفة باليهودي العاجز

مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَابِ قَوْمٍ وَعَلَيْهِ سَائِلٌ يَسْأَلُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، فَضَرَبَ عَضُدَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَقَالَ: مِنْ أَيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْتَ؟ فَقَالَ: يَهُودِيٌّ. قَالَ: فَمَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَ: أَسْأَلُ الْجِزْيَةَ وَالْحَاجَةَ وَالسِّنَّ. قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَرَضَخَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ: انْظُرْ هَذَا وَضُرَبَاءَهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَفْنَاهُ أَنْ أَكَلْنَا شَبِيبته ثُمَّ نَخْذُلُهُ عِنْدَ الْهَرَمِ (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) (التوبة: ٦٠)، وَالْفُقَرَاءُ هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهَذَا مِنَ الْمَسَاكِينِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَوَضَعَ عَنْهُ الْجِزْيَةَ وَعَنْ ضُرَبَائِهِ. قَالَ: قَالَ أَبُو بكرَة: أَنَا شَهِدْتُ ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْخَ .

هكذا نجد أنفسنا أمام قيمة كبرى من القيم التي يدعو إليها الإسلام، وتتجلى في رعاية المسنين، وفي الإحسان إلى العاجز والرأفة بالذميين العاجزين. ويعني هذا أن هذا الذمي على غير دين الإسلام، لم يمنعه كفره بالإسلام من الإحسان إليه والرأفة به عند عجزه.

وفي صورة أخرى، مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَرِيقِ الشَّامِ وَهُوَ رَاجِعٌ فِي مَسِيرِهِ مِنَ الشَّامِ عَلَى قَوْمٍ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتَ فَقَالَ: مَا بَالُ هَؤُلاءِ؟ فَقَالُوا عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ لَمْ يُؤَدُّوهَا؛ فَهُمْ يُعَذَّبُونَ حَتَّى يُؤَدُّوهَا؛ فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا يَقُولُونَ هُمْ وَمَا يَعْتَذِرُونَ بِهِ فِي الْجِزْيَةِ؟ قَالُوا: يَقُولُونَ لَا نَجِدُ. قَالَ: فَدَعُوهُمْ، لَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يُعَذِّبُوا النَّاسَ فَإِنَّ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بهم فخلى سبيلهم.

وعلى هذا سار الحكم الإسلامي إبان الخلافة الراشدة، فلا تكلف نفس فوق طاقتها. جاء في كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة بالعراق - وكانوا نصارى - والذي أرسله إلى الصديق رضي الله عنه: «وَجَعَلْتُ لَهُمْ أَيَّمَا شَيْخٍ ضَعُفَ عَنِ الْعَمَلِ أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ مِنَ الآفَاتِ أَوْ كَانَ غَنِيًا فافْتَقَرَ وَصَارَ أَهْلُ دِينِهِ يَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ طَرَحْتُ جِزْيَتَهُ وَعِيلَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ» .

٢- الاستعانة برومي في حساب الفرائض

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَوِ إِلَى مُعَاوِيَةَ: «أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا بِرُومِيٍّ يُقِيمُ لَنَا حِسَابَ فَرَائِضِنَا».

وهذا نص واضح في استعانة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالآخر بغية إنجاز بعض مهام الدولة. والمهمة هنا هي حساب الفرائض. وهذا يعني أن غير المسلم يستفاد مما لديه من خبرات قصد تحقيق مصالح المسلمين. كما يعني أن المجتمع الإسلامي ليس مجتمعا منغلقا على ذاته، وإنما هو مجتمع منفتح، لكنه مسيج بمقاصد الشرع وأحكامه.

وقد اختلف العلماء في حكم الاستعانة بغير المسلم في حالة السلم. فقال بعضهم بالمنع. وقال آخرون بجواز الاستعانة بغير المسلم المسالم في الأمور الدنيوية التي لا تتصل بالدين مثل: الطب، والزراعة، والصناعة.

واستند المانعون إلى الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ) (آل عمران: ١١٨)، حيث قال الجصاص رحمه الله: «في هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة. وقد روي عن عمر أنه بلغه أن أبا موسى استكتب رجلا من أهل الذمة، فكتب إليه يعنفه، وتلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ)» .

كما أن هناك شاهدا آخر للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفس سياق الآية عن أبي دهقانة قال: قلت لعمر بن الخطاب: «إِنَّ هَاهُنَا حَائِكًا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ نَصْرَانِيًّا، فَلَوِ اسْتَكْتَبْتَهُ ؟» فقال: «قَدِ اتَّخَذْتُ إِذًا بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» .

وهناك من ذهب إلى جواز الاستعانة بالكافر مستدلا بأدلة منها استعانة النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في خيبر لما شغل المسلمون عن الحرث بالجهاد وتعاقد معهم على النصف في خيبر حتى يقوموا على نخيلها وزروعها بالنصف للمسلمين والنصف لهم وهم يهود لما رأى المصلحة في ذلك، فاستعان بهم لذلك وأقرهم في خيبر حتى تفرغ المسلمون لأموالهم في خيبر في عهد عمر فأجلاهم رضي الله عنه...

وكذلك ما جاء في حديث الهجرة إلى المدينة أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتهمَا لِهَذَا، فَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْقِطٍ - رَجُلًا مِنْ بَنِي الدُّئَلِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مُشْرِكًا- يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا.

فكيف نوازي بين الموقفين؟

يجيبنا صاحب نهاية المحتاج أنه «إن اقتضت المصلحة توليته شيئا لا يقوم به غيره من المسلمين أو ظهر فيمن يقوم به من المسلمين جناية وأمنت في ذمي ولو لخوفه من الحاكم مثلا فلا يبعد جواز توليته فيه للضرورة والقيام بمصلحة ما ولي فيه» . ويؤكد هذا أبو بكر بن العربي رحمه

الله بقوله: «إنْ كَانَتْ فِي ذَلِكَ فَائِدَةٌ مُحَقَّقَةٌ فَلَا بَأْسَ بِهِ». ويبدو أن المانعين ربطوا المنع بالقضايا الكبرى للدولة الإسلامية والتي تتطلب أمانة وتكتما، وهذا ما يبينه ابن كثير رحمه الله: «ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ولهذا قال تعالى: (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) (آل عمران: 119)» . ويتأكد هذا من خلال قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع وسق الرومي الذي يقول: كُنْتُ مَمْلُوكًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ يَقُولُ لِي: «أَسْلِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ اسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَى أَمَانَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَعِينَ عَلَى أَمَانِتِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ»، قالَ: فَأَبَيْتُ، فَقَالَ: «لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَعْتَقَنِي، فَقَالَ: «اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ» .

٣- عدم إكراه وسق الرومي على الإسلام

ولا ندع قصة وسق الرومي هاته دون التطرق لفائدة أخرى عظيمة تتضمنها وهي عدم إكراه عمر رضي الله عنه لعبده على الإيمان، بل كان يكتفي بدعوته تاركا له حرية الاختيار، ثم أعتق رقبته بعدما حضرته الوفاة. إنها واحدة من أعظم صور رحمة الإسلام، ووسطية عمر رضي الله عنه في التعامل مع الآخر.

إن هذه القصة تذكرنا بقصة الغلام اليهودي الذي كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشترك القصتان في هم الدعوة إلى الله وإنقاذ النفس من الكفر ولكن دون إكراه. فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُه، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ !! فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ:أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ:«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ» .

٤- الهدية للأخ الكافر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، رَأَى حُلَّةَ سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ» ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا حُلَلٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا» فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا .

لقد أهدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأخ الكافر كسوة، ومن شأن الهدية تطييب الخاطر وبناء الثقة وإشاعة جو السلام والاحترام وتحقيق التعايش مع الآخر. وهذا ما نكتشفه من ترجمة البخار رحمه الله لهذا الباب بقوله: «باب الهدية للمشركين وقوله تعالى: (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨)». وإذا كان فقه البخاري في تراجمه، كما يقولون، فإن الهدية للمشرك الذي لم يقاتل المسلمين هي بمثابة البر والقسط والإحسان إليه.

وهذا يتحقق سواء كانت الهدية للكافر أو من عنده كما هو الشأن في الكسوة التي أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أفردت كتب الحديث أبوابا خاصة لروايات قبول النبي صلى الله عليه وسلم لهدايا المشركين، وعلى رأس هذه الكتب نجد صحيح البخاري رحمه الله الذي عقد، في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، بابا بعنوان: باب « قبول الهدية من المشركين» نقرأ فيه أن مَلِك أَهْدَى أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ.

وعن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةُ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا . وَقالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: إِنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الرواية وغيرها تفيد بقبول الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا الكفار والمشركين، حيث لم يمنعه كفرهم ولا شركهم من قبولها، وهذا القبول منه صلى الله عليه وسلم إنما هو حرص منه لتحقيق السلام الدائم وبناء ثقة مشتركة، وذلك لأن قبول الهدية دليل على الرضا بالآخر، بل تطييب لخاطره وتقدير لمكانته.

وإذا كانت هذه الروايات من السيرة النبوية الشريفة تجيز قبول هدية الكفار والمشركين، وتحقق ما ذكرناه من مقاصد، فإن قبولها، أو بذلها، لا يعني مودة الكفار والمشركين ومحبتهم، أو أن يكون مقدمة لذلك، كما أن موضوع الهدية ينبغي أن لا يكون محل تحريم في الشرع الإسلامي.

اللغة

رمز إنسانية الإنسان

د. محمود الذوادي

تونس

إن دراستي لأكثر من عقدين لمسألة اللغة في المجتمعات المغاربية وغيرها تسمح لي بالقيام بالملاحظات التالية الصالحة لتكون نوعًا من البيان حول اللغة والهوية لدى الإنسان والشعوب:

١ ـ تؤكد الرؤية المعرفية [الإبستيمولوجيا] مقولتي في بحوثي اللغوية أن ما يميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى هي منظومة الرموز الثقافية: اللغة والفكر والدين والمعرفة/العلم والقيم والأعراف الثقافية.

٢ ـ اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعًا. أي إن غياب ملكة اللغة في شكلها المنطوق على الأقل يُلغي أصلا وجود الرموز الثقافية عند الإنسان. وهي في نفس الوقت المحدد الأول لهوية الإنسان على المستوى العام المطلق. إنها رمز لإنسانية الكائن البشري. وهكذا يجوز القول بشيء من التصرف في قول الفيلسوف الفرنسي الشهير ديكارت [أفكر، إذن فأنا موجود] ليصبح ذلك القول عندنا [أستعمل لغة، إذن فأنا إنسان].

٣ ـ اللغات هي كذلك محددة لهويات الأفراد والجماعات والمجتمعات. فاللغات المختلفة للشعوب والمجتمعات هي المحددة للهويات المتنوعة لتلك الشعوب والمجتمعات البشرية عبر العصور في القارات الخمس. رغم وجود الاتحاد الأوروبي، فإن لغات البلدان الأعضاء تحدد هويات أعضائه المتعددة والمختلفة.

٤ ـ يتضح دور وثقل عامل اللغات في تحديد الهويات الخاصة في الشعوب والمجتمعات التي توجد فيها أكثر من لغة. فعلى سبيل المثال، فاللغتان الإنجليزية والفرنسية

هما اللغتان الرسميتان في المجتمع الكندي واللغتان الفلمندية والفرنسية هما اللغتان الرئيسيتان بالمجتمع البلجيكي . أما في المجتمع العراقي فاللغتان الرئيسيتان فهما العربية والكردية. وفي المجتمعين الجزائري والمغربي، فإن اللغتين العربية والأمازيغية هما اللغتان الرئيسيتان فيهما. يلاحظ أن اللغات المستعملة من طرف الناس في هذه المجتمعات الثنائية اللغة هي التي تحدد هويتهم الخاصة. فسكان مقاطعة كيباك بكندا يعرِّفون هويتهم في المقام الأول بلغتهم الفرنسية ، وكذلك الشأن لدى أكراد العراق الأمر الذي جعل الكيباكيين والأكراد ينادون حتى بالانفصال السياسي عن مجتمعهم الكبير: كندا أو العراق. وبلجيكيا مثال آخر على علاقات اللغات بالهويات الفردية والجماعية.

٥ ـ : ليست اللغة العامل الوحيد في تحديد هويات الأفراد والجماعات والمجتمعات. فالدين واللون والعرق هي أيضًا

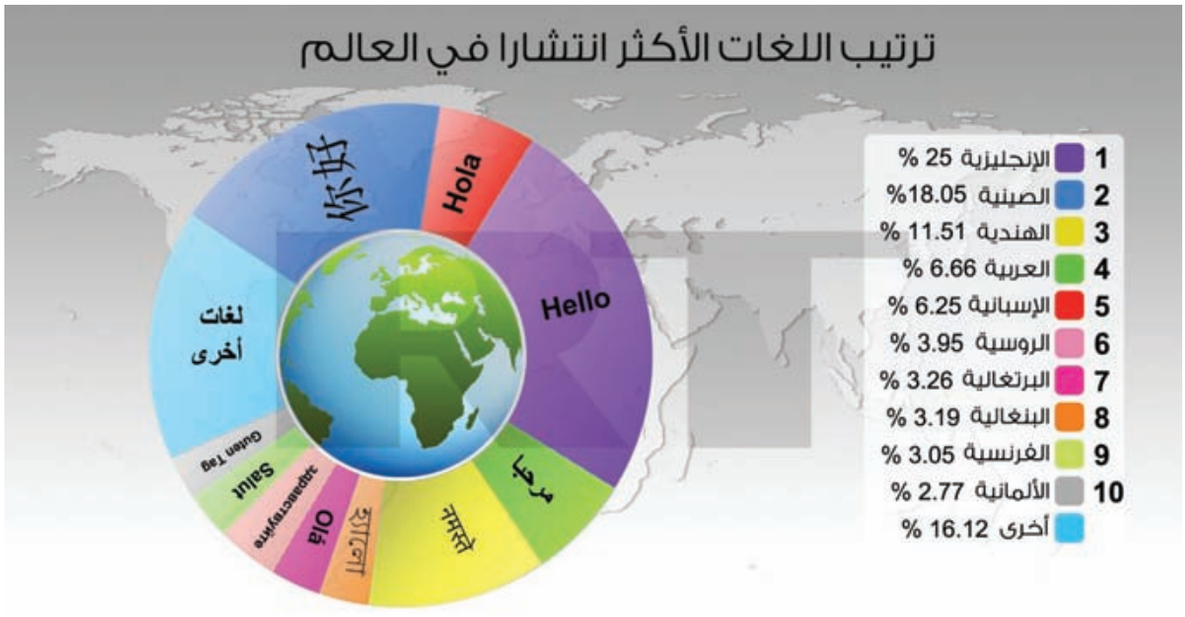

عوامل محددة للهويات. لكن تلعب اللغة المشتركة بين هؤلاء دورًا حاسمًا في خلق هوية جماعية في مجتمع ينتمي أفراده وفئاته إلى دياناتٍ وأعراق وألوان مختلفة.

٦ ـ إن أهمية اللغات في تحديد الهويات تشير إلى أن تلك اللغات هي لغات وطنية يعرفها ويستعملها جميع المواطنين أو هي لغات محلية يعرفها ويستعملها جزءٌ من تلك المجتمعات. ومن ثم، فهي ليست باللغات الأجنبية. ومنه، تُطرح مسألة تأثير اللغة/اللغات الأجنبية على قضية الهويات في المجتمعات المستقبلة والمستعملة لها. تستقر تلك اللغات في المجتمعات المعاصرة نتيجة للاستعمار أو الهيمنة الخارجية مما قد يؤدي إلى تنافس بين اللغات الوطنية أو المحلية واللغات الأجنبية. وهذا ما يشهد عليه دخول اللغة الفرنسية في المجتمعات المغاربية. فالحضور القوي للغة الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا أثناء الاحتلال الفرنسي وبعده، يمثل منافسة شديدة للغات الوطنية لتلك الشعوب: اللغة العربية واللغة الأمازيغية. ونظرًا لأن الفرنسية ليست باللغة الوطنية في مجتمعات المغرب العربي، فإن وجودَها الكبير في هاته المجتمعات لم يجعل الأغلبية الساحقة من سكانها يرغبون في الانتماء إلى الهوية الفرنسية. ولكن للغة الفرنسية تأثيرات سلبية على لغات هذه المجتمعات وفي طليعتها التأثير سلبًا على علاقة المغاربيين باللغتين العربية والأمازيغية.

يتمثل التأثير السلبي على العربية في إقصائها من الاستعمال في عدة ميادين والنظر إليها بالدونية في حالات كثيرة من طرف العديد من السكان الأمر الذي أدى ويؤدي عند كثيرين إلى تشويش وارتباك في الانتساب إلى الهوية العربية. وهذا ما عرفتْه وتعرفه بعد الأحداث الأخيرة أقلية نخبوية تونسية فرونكوفونية تشكو من أزمة هوية جعلتها تُشكك حتى في مجرد انتساب الشعب التونسي إلى الهوية العربية الإسلامية، والحال أن اللغة العربية والدين الإسلامي هما القطبان الرئيسيان لمنظومة الهوية الوطنية الجماعية التونسية. ويجوز انتظار وقوع نفس الشيء على طول المدى في بعض المجتمعات العربية الخليجية المحدودة السكان على الخصوص. إذ أصبحت اللغة الإنجليزية هي المهيمنة في كثير من قطاعات تلك المجتمعات. لكن يمكن لهذه المجتمعات المحافظة على علاقة سليمة وحميمة مع اللغة العربية/الوطنية إذا تبنّى أولو الأمر ومجتمعاتهم قوانين وسياسات لغوية تحد من اغتراب اللغة العربية في محيطها وبين أهلها كما فعلت وتفعل شعوب أخرى في الماضي والحاضر مثل إسرائيل ومقاطعة كيباك في كندا وتركيا وإيران المجاورتين للمجتمعات الخليجية والمشرقية العربية. فمثل تلك القوانين والسياسات قد أثبتت بالفعل أنها قادرة حق المقدرة على تطبيع الشعوب لعلاقاتها مع لغاتها الوطنية.

تربية الطفل

على الانتماء والمواطنة

د . محمد محمود العطار

أستاذ مساعد- جامعة الباحة

الأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أي مجتمع يخطط لبناء الإنسان الذي يعمر به أرضه، والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس لأننا لو نظرنا إلى الحياة في وجهها المضيء لرأينا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران اثنان هما المال والأبناء ، قال تعالى : «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (سورة الكهف : الآية ٤٦). وفي أهمية الطفولة يقول الرسول الكريم «الولد من ريحان الجنة» (رواه الحكيم الترمذي)، فالطفولة هي الغد والأمل، وطفل اليوم هو رجل المستقبل، وثروة الأمة ولبنة أساسية في بناء مجتمع الغد، ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حدٍ كبير على مدى اهتمامه بالأطفال ورعايتهم وتهيئة الإمكانات التي تتيح لهم حياة سعيدة ونمواً سليماً يصل بهم إلى مرحلة النضج السوي، فتنشئة الأطفال في بيئة صحية ضمان للمستقبل.

والانتماء احتياج إنساني، حيث إن الحاجات الأساسية عند الفرد هي الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى التقدير، الحاجة إلى التعبير عن الذات، الحاجة إلى الانتماء. فالانتماء جزء أساسي من الطبيعة الإنسانية، كما أنه احتياج نفسي، حيث بدونها لا تستقيم النفس ولا يسعد الإنسان، وكما يحتاج الإنسان إلى الأمن والحب والتقدير، فإنه يحتاج أيضا إلى الانتماء.

كما أن الانتماء احتياج اجتماعي، لأن الإنسان مخلوق اجتماعي، ومن ثم فهو في حاجة إلى التفاعل والتعاون، والاتحاد والمشاركة مع الآخر .

كما أن الانتماء احتياج روحي، حيث يسمو بالإنسان قلباً وقالباً، لأنه يعلم الحب والتعاون، واكتساب القيم السامية والمبادئ الرفيعة.

ويرتبط بالانتماء بعض القيم، مثل: العطاء، والتضحية، والتعاون مع الآخرين، وهذا يلقي على الأسرة مسؤولية كبرى نحو التركيز على إظهار مواقف تاريخية تبيِّن بطولة الزعماء في الدفاع عنه. وفي تقدير هؤلاء الأطفال لأنفسهم، وبشكل عام فإن للعلاقات الأسرية أثرًا إيجابيًّا في تكوين الشعور عند الطفل.

ومن بعض المظاهر السلوكية الدالة على قوة الانتماء والتي يجب تعليمها للطفل ما يلي:

- المحافظة على الممتلكات العامة.
- التعاون مع الزملاء والعمل بروح الفريق.
- تحمل المسؤولية.
- المحافظة على البيئة.
- حب الأسرة والمدرسة والمجتمع.

والمواطنة بشكل بسيط هي انتماء الإنسان إلى بقعة أرض، ويقصد بالإنسان كل من يستقر داخل الدولة أو يحمل جنسيتها ويخضع للقوانين الصادرة عنها ويتمتع بشكل متساوٍ مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق، ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه الدولة التي ينتمي إليها.

إن تربية الأطفال منذ الصغر على المحافظة على قيم المواطنة أمر ضروري، فالتربية عملية تستمر طوال العمر، والاهتمام بدراسة الطفولة هو في الواقع اهتمام بتقدم وتطور المجتمع، لأن أطفال اليوم هم شباب الغد ورجال المستقبل. فالأطفال هم مرآة المجتمع، فبهم يستطيع أي مجتمع أن يرى ما يمكن أن تكون عليه صورته مستقبلاً. ويعد الأطفال مخزوناً لموارد المجتمع البشرية ذات عائد استثماري طويل الأجل، وإذا أعددناهم إعداداً سليماً في طفولتهم فإنهم يستطيعون المشاركة بفاعلية في تنمية بلادهم اجتماعياً واقتصادياً. فالاهتمام برعاية الطفولة هدف من أعز الأهداف التي تسعى المجتمعات إلى تحقيقه، وهو في حقيقة الأمر ضمان مستقبل شعب بأسره فهم الثروة الحقيقية للوطن، وهم الأمل

في الحاضر والمستقبل.
ومن هنا يأتي المطلب بإعادة تربية الأطفال على مبدأ المواطنة، ونبذ العنف، ورفض التطرف، ومواجهة التعصب، في مختلف الميادين والاتجاهات. وهذه التربية لا بد أن تنطلق من قيم الديمقراطية وأن تعتمدها منهجاً وطريقة وغاية وممارسة من أجل مواجهة التحديات الكبرى والقضاء على العنف والتسلط والإرهاب.

إن مستقبل أي أمة إنما يعتمد بشكلٍ كبير على مدى امتلاك أفرادها لقيم المواطنة، وقد يفوق ذلك امتلاكها لأشياء أخرى مثل المعرفة والتكنولوجيا والموارد الاقتصادية، وذلك لأن هذه الأشياء ما جاءت إلا بأيدي أفراد صالحين يدينون بالولاء لبلادهم.

ولقد شهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي أحداثاً متلاحقة وتطورات سريعة جعلت عملية التغيير أمراً حتمياً في معظم دول العالم ، وقد انتاب القلق بين المجتمعات من هذا التغير السريع، ولذلك ازداد اهتمام المجتمعات الحديثة بالتربية الوطنية، وأخذ يستحوذ على عناية المفكرين والعاملين في المجال التربوي، وخاصة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الذي اتسم باختلاف القيم وقواعد السلوك وتنامي العنف وتفكك العلاقات وتشابك المصالح.

وتعتبر المواطنة نقطة البداية بين علاقة الفرد بالدولة التي ينتمي إليها، وبالتالي يقدم واجباته بسخاء وبعدها يبحث عن حقوقه ؛ فلا يمكن تقديم الواجبات دون الوفاء بالحقوق.

وعلى ضوء ذلك من الضروري إكساب الأطفال قيم المواطنة، وذلك لأن هذه المرحلة هي أهم المراحل لغرس القيم والسمات المرغوب فيها، كما أن تنمية قيم المواطنة أمر ضروري، ويأخذ أهمية خاصة لدى الأطفال الصغار، وذلك لأن البذور الأولى في الاهتمام بقضايا الوطن لدى كثير من القيادات الوطنية بدأت عندما كانوا أطفالاً صغاراً ، حيث كانوا أكثر إحساساً واهتماماً بكل ما يدور حولهم في المجتمع.

إن المواطنة هي الدرع الواقي لحماية المجتمع من العنف والتطرف وصهر أفراد المجتمع في بوتقة واحدة، لذا يجب تنمية وتعزيز قيم المواطنة في نفوس أطفالنا منذ الطفولة المبكرة من أجل إعداد المواطن الصالح المتمسك بقيم وعادات وتقاليد مجتمعه، وكذلك من أجل تحقيق التلاحم الاجتماعي والعمل على ما من شأنه أن يحقق رفعة الوطن وتقدمه.

مفهوم المواطنة :

يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم التي تزايد الاهتمام بها خلال المراحل الأخيرة، وذلك لما لهذا المفهوم من أهمية تنعكس على كثير من العلوم وأهمها مجالات العلوم الاجتماعية حيث يرتبط مفهوم المواطنة بدراسات علم الاجتماع السياسي التي تبحث في علاقة مفهوم المواطنة بطبيعة النظام السياسي، والعلاقة بين مفهوم المواطنة والمشاركة السياسية لأفراد المجتمع.

ومفهوم المواطنة كغيره من المفاهيم الاجتماعية والإنسانية، ومن الصعب وضع تعريفٍ محدد وشامل له يمكن الاتفاق عليه، ولكن يمكن القول بأن المواطنة تعني ارتباط الفرد بانتمائه الوطني للدولة وما ينعكس على ذلك من حصوله على الحقوق المترتبة على هذه الصفة، والالتزام بالقيام بالواجبات والمسؤوليات الناجمة عنها تجاه الدولة التي ينتمي لها، حيث يرتبط مفهوم المواطنة بالقيمة الاجتماعية المتعلقة بقيمة الانتماء، والفرد بطبيعته الإنسانية يشعر بالانتماء والولاء تجاه العديد من المؤسسات المحيطة به، وفي مقدمتها مؤسسة الأسرة أو العائلة التي يشعر بالانتماء الاجتماعي لها، أو مؤسسة القبيلة أو الطائفة الدينية والمذهب الديني والعرقي، وكذلك المؤسسات السياسية مثل الأحزاب والجماعات السياسية التي يرتبط الفرد بانتماء سياسي لها، ولكن كل هذه الانتماءات فرعية تربط الفرد بالمؤسسات الاجتماعية والسياسية، في حين أن الانتماء الرئيس الذي يشترك فيه أفراد المجتمع الذين يشكلون الشعب كافة ، هو الانتماء الوطني لمؤسسة الدولة.

أهداف المواطنة:

- دعم قيم الولاء والانتماء وتعزيزها لدى جميع الأفراد.
- الوصول إلى درجة المساواة الكاملة بين الجميع في الواجبات والحقوق.
- العمل على تعزيز الانتماء للوطن وخدمته والدفاع عنه، والسعي من أجل العيش المشترك مع الشريك الاجتماعي الذي يتقاسم الحياة مع الآخرين في الوطن.
- المساهمة في تشكيل شخصية المواطن والهوية الجماعية للوطن.

قيم المواطنة :

أطفالنا في حاجة إلى تكوين شخصياتهم وتنميتها وإكسابهم العادات الصحيحة والسليمة والسلوكيات المهذبة، وذلك من أجل ضمان مساعدة المجتمع على التغلب على ما قد يوجد فيه من صراعات مستقبلية أو تناقضات قيمية ومن أهم قيم المواطنة مايلي:

١- المساواة:

تتمثل هذه القيمة في ممارسة العديد من الحقوق مثل: حق التعليم، وحق المعرفة، والإلمام بتاريخ الوطن، والحصول على المعلومات التي تساعد هذا.

٢- الحرية:

الحرية حق من حقوق الفرد في المجتمع وعن طريقها تتحقق

إنسانيته . فمن حق الفرد أن يولد حراً، وهذا حق لا يتغير وإن اختلف الزمان والمكان.

٣- تحمل المسؤولية:

نعني بالمسؤولية استعداد الفرد للقيام بما يوكل إليه من واجبات في المواقف المختلفة، والمسؤولية بهذا المعنى تؤكد على الجانب السلوكي وإلزام الفرد بما يوكل إليه من أعمال، والمسؤولية استعداد فطري، فهي تبدأ مع أولى خطوات الطفل، فالطفل يعيش عضواً في أسرة يكون فيها مسؤولاً، إذ تبدأ مسؤوليته عن ذاته ثم تتجه إلى مجتمعه الصغير، وتتضح هذه القيمة في ممارسة العديد من المسؤوليات مثل: احترام حرية الآخرين وخصوصياتهم، واحترام القانون، وتأدية الخدمة العسكرية للوطن ، ودفع الضرائب.

٤- الطاعة:

تعد الطاعة قيمة إيجابية تظهر لدى الفرد من خلال اتباعه للقوانين والقواعد وطاعة والديه والحكام واتباع النظام، وقد لوحظ أن الأطفال يعصون في بعض الأوقات ويرفضون الاستجابة بشكل إيجابي للقوانين ويبلغ العصيان ذروته في البداية خلال عمر السنتين ويتناقص بشكل طبيعي بعد ذلك، ثم تظهر السلبية مرة أخرى خلال سنوات المراهقة. ومعنى ذلك أن معظم الأطفال يذعنون في معظم الأوقات لتعليمات الوالدين إلا أنه من أصعب الدروس التي عليهم أن يتعلموها هو أنه يجب عليهم عمل الشيء في الوقت الذي ينبغي أن يُعمل فيه ، سواء أعجبهم أم لم يعجبهم ، فالطاعة لا تعني فقط عمل ما يطلبه المربي فقط ولكنها تعني أيضاً عمل ما يُطلب في الوقت الذي ينبغي أن يعمل فيه.

خاتمة:

لقد اهتم الإنسان بطفله، والقيام على تربيته، منذ أقدم العصور على أنه الوسيلة الناقلة لتراث الأمة وثقافتها، وهو الحصن المنيع للدفاع عنها والصانع لمستقبلها، والعامل على ازدهار اقتصادها، ومن هنا جاء الاهتمام بالطفل والأخذ بيده إلى الأفضل، والعناية بنموه الفكري بما يتناسب مع الظروف البيئية والاجتماعية التي يعيشها مجتمعه.

والانتماء كقيمة هو من القيم التي يجب أن ترسخ في نفوس أطفالنا حتى يشبوا على المواطنة الصالحة، وحب الوطن والولاء له، والبقاء به مهما كانت الظروف، ففي وقت الأزمات يحتاج الوطن إلى محبيه الذين يدافعون عنه ويناضلون من أجله ، ولن يكون ذلك إلا بترسيخ الكثير من القيم أهمها الانتماء. وفي ظل التطور العلمي والتكنولوجي، يجب العمل على تنمية الانتماء في نفوس أطفالنا، وذلك عن طريق تزويد النشء منذ الطفولة بالمقومات الأساسية للمواطن الصالح، والاهتمام بالتوعية الدينية وإعداد المعلم الصالح لها .. ونشر الثقافة الإسلامية بعيداً عن التعصب والتمسك بالمظهر على حساب الجوهر.

وعلى المربي الإحاطة بالثقافة والفكر وأصول الدين وذلك لتوصيلها إلى النشء بالطرق والأساليب المختلفة ، قال تعالى(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه) (سورة آل عمران- آية: ٣١) .

إن حب الوطن والانتماء إليه وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية يتم من خلال التنشئة الاجتماعية فلا بد أن تربي الأسرة الطفل على حب الأسرة ومن ثم حب المجتمع والوطن فعندما يشعر بأهميته وبأهمية ما يفعله تجاه الآخر يدرك بأن له دورا يقدره المجتمع فيزيد ولاؤه له وترتفع لديه الهوية الوطنية ويزيد إحساسه بنفسه وهذا من خلال احترامه لذاته واحترامه للآخر.

والمواطنة ممارسة وسلوك وهي منظومة من القيم والاتجاهات التي تجعل الفرد يتحمل المسؤولية بقدر قيمة العمل لخدمة المجتمع، كما تبرز اليوم أهمية المواطنة من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة بكل مجتمع في ظل ما يتهددها من أخطار العولمة ، وهذا لا يعني أن نبتعد عن العالم الذي أصبح قرية صغيرة، إنما يكون عن طريق إكساب المناعة لكل فرد من خلال تربيته تربية وطنية وتزويده بالمعلومات والمعارف والمبادئ ، وتنمية قيم المواطنة التي يستطيع من خلالها التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك على شخصيته الوطنية.

ويجب على الأسرة المسلمة حسن توجيه أطفالها علمياً، وتقديم الرعاية اللازمة لهم ومساعدتهم في التحصيل الدراسي وتنمية قيم المواطنة وتقوية حب الوطن لديهم في عصر يتميز بأنه عصر العلم والمعلومات.

وهناك مجموعة من التوصيات لتنمية الانتماء والمواطنة لدى الأطفال منها:

- طاعة ولاة الأمر وهذه قيمة مهمة تعمل على تعريف الأطفال واجباتهم تجاه ولاة أمرهم ووجوب طاعتهم والعمل على المساهمة في بناء وتنمية الوطن.
- أن نردد مع أطفالنا أن الله ناظر إلينا ، والله شهيد علينا ومطلع علينا.
- تنمية الشعور لدى الأطفال بالانتماء الأسري ومن ثم الانتماء المجتمعي في ضوء القيم التي أكدها الدين الإسلامي الحنيف.
- احترام استقلالية الطفل وتفكيره، وأن يكون هناك قدر من المرونة والتسامح والتعامل بعقل وقلب مفتوح.
- تشجيع الأطفال على المشاركة في الاحتفالات والأعياد الوطنية.
- أن نعلم أطفالنا ضرورة المحافظة على الوطن.

الحضارة الإسلامية في آسيا

الصين الوطنية

(من البحوث المقدمة إلى مؤتمر الوسطية الإسلامية في لومبوك - إندونيسيا)

بقلم : د.ابراهيم بن ادريس جاو

يظن كثير من الناس بأن العرب قبل الإسلام أمة منعزلة عن العالم بحكم التضاريس الجغرافية المحاصرة بالصحراء والبحار. ولكن البحوث التاريخية أثبتت أن أهل الجزيرة العربية كانوا على صلة قوية بالمناطق المجاورة عبر طريقين عظيمين للتجارة بين الشام والمحيط الهندي. وبذلك اتصلوا مع الفرس والروم بل وببقية أجزاء قارة آسيا المترامية الأطراف التي هي أكبر قارات العالم.

وكانت عير قريش تحمل من موانئ عمان الطِّيب مما يرد إليها من إندونيسيا و الصين والهند وغيرها مما يدل بشكل جلي على أن القوافل التجارية العربية تمثل دور المحور أو الوسيط بين أجزاء المشرق الآسيوي من الشرق الأقصى. وجنوب شرق آسيا. والجنوب الآسيوي. وأواسط آسيا. وتجارتها مع قارتي أوروبا وإفريقيا.

فلا غرابة كذلك. إذا شهدنا لوحة برونزية تحمل صورة إبلٍ ذات سنام واحد مع بعض قطع من عملات معدنية صينية من عهد «تانج» المصاحب لعهد النبوة المحمدية. أو قبله. التي اكتشفت ضمن حفريات أثرية في شواطئ شمال تايوان بين سكان الجزيرة الأصليين. ويمكننا ربط هذه اللوحة البرونزية للإبل بوصول الحركة التجارية العربية مع تايوان والصين واليابان وكوريا؛ لأن صورة إبلٍ ذات سنام واحد طويلة القامة غريبة في المشرق الآسيوي عمومًا وتايوان خاصة. حيث إن بيئة تايوان لا تعيش فيها الإبل من هذا الصنف.

فالإبل في بلاد الصين وآسيا الوسطى لها سنامان وقصيرة القامة نسبيا. وهذه اللوحة البرونزية معروضة في متحف «شيه سان هان» لعلم الآثار (Shihsanhang Museum of Archaeology) في منطقة بالي - تايبيه. تايوان.

إن صلة العرب بالمناطق المجاورة لها من القارات الثلاث. جعلت الجزيرة العربية في موقع مهم. واستراتيجي. ولكن ترابطها مع القارة الآسوية أكثر بحكم وجودها في الطرف الغربي للقارة. وقربها من أجزاء القارة الآسيوية شرقًا.

انتشار الإسلام في آسيا:

انتشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية في عهد النبوة. وقام الخلفاء الراشدون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بفتوحاتهم في بلاد الشام والفرس والمشرق الآسيوي وصولًا إلى آسيا الوسطى. ومنطقة أذربيجان . حيث قُتل كسرى الفرس «يزدجرد» بخراسان عام ٣١هـ في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهت بذلك دولة آل ساسان الفارسية. (انظر: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي الجزء١ ص٢٥٥).

ثم استمرت الفتوحات في عهد الخليفة الثالث. فضُمت بلاد أرمينية وأجزاءَ من بلاد طبرستان بجنوبي بحر قزوين. حيث تخطت جيوش المسلمين نهر جيحون ودخلت بلاد ما وراء النهر. فاستولى المسلمون على بلخ وهراة وكابول وغزنة من بلاد الترك في آسيا الوسطى. كما تم فتح بلاد ماوراء النهر أو ما بين النهرين (جيحون وسيحون) على يد الخلفاء الأمويين. (انظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الجزء٥ ص٢٦٩).

وتشهد الحقائق التاريخية وصول الدعوة الإسلامية إلى بلاد الصين ومنطقة جنوب شرق آسيا برًا وبحرًا. سلمًا لا عنوة. بواسطة المبعوثين من الخلفاء الراشدين. رضوان الله عليهم. ومن جاء من بعدهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين. ورجال التجارة. والأعمال الذين يسلكون طريق البر المعروف بطريق الحرير. أو المسلك البحري المعروف لدى أهل الجزيرة العربية - خاصة لدى أهالي الخليج العربي و حضرموت وسواحل البحر الأحمر- منذ القدم.

في المدونة التاريخية الصينية السجل الآتي: « في السنة الثانية من حكم يوانخوي (الموافق ١٥١م) في عهد الإمبراطور «تانغ كاو تسونغ»، زار بلاد الصين مبعوث عربي (تآشي)، يحمل معه الهدايا الثمينة للإمبراطور. لقد أخبر المبعوث المسلم العربي بأن دولته تأسست منذ أربعة وثلاثين سنة فقط وأن أمير المؤمنين الثالث يتولى حكم البلاد الآن...». (انظر : تاريخ المسلمين في الصين - بدر الدين حيّ الفصل الأول).

جهود علماء المسلمين في البناء الحضاري في آسيا

وصف المؤرخون قارة آسيا بأنها منطقة تنال إعجاب الناس وتزخر بالقوى الخارقة للابتكار، منذ سنة ٥٠٠م حتى سنة ١٥٠٠م، وهو نفس الوقت الذي بدأ فيه تكامل وارتقاء اللغة العربية بعد تواصل أجزاء الجزيرة العربية جنوبا وشمالا. وقد لاحت البعثة المحمدية منذ القرن السابع الميلادي، ثم واصل المسلمون بناء الحضارة الإسلامية التي يتركز الكثير من أحداثها في قارة آسيا، لتستمر حتى يومنا هذا.

الفقهاء أو علماء الشريعة الإسلامية :

يبين لنا تاريخ التشريع الإسلامي بوضوح أدوار تطورات علم التشريع الإسلامي بجهود علمائه الأجلاء، بدءًا بعهد البعثة المحمدية في مكة المكرمة، ثم بالمدينة المنورة مع الهجرة النبوية الشريفة، ثم دور التشريع في عصر الخلفاء الراشدين. ثم امتداد نفوذ المسلمين إلى خارج الجزيرة العربية مع الفتوحات وامتداد الدعوة الإسلامية.

وجد المسلمون أنفسهم بحاجة لتطوير العلم لمواجهة حوادث ووقائع هذه البلدان، حيث تختلف في النظم والأخلاق والعادات، حتى تصبح مرافق الحياة في تلك المناطق من العبادات والمعاملات كلها موافقة للإسلام شرعا. فوضعوا رضوان الله عليهم قواعد الإستنباط الشرعي الذي يعتمد على المصادر الأربعة: الكتاب والسنة و الإجماع والقياس.

واتسع النشاط العلمي مع بداية القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الرابع الهجري (سنة ٧٥٠-٩٦٠م تقريبا). وأصبح الفقه الإسلامي ثروة علمية طائلة، يسَّر للباحثين بعدهم مواصلة سيرهم في مجال البحث العلمي. وقد وصف الشيخ محمد السايس هذا العصر بأنه «دور النشاط والقوة و النضج الفكري و الحياة العلمية الواسعة و البحث الجدي العميق المنتج، و المنافسة الفقهية الحادة البريئة، و الاجتهاد المطلق، والحرية الجزئية في النظر و الاستنباط».

ففيه دونت علوم القرآن و السنة والكلام، و اللغة و الفقه، وظهر نوابغ القراء وأهل اللغة والتأويل والمحدثون والمتكلمون والفقهاء. (انظر : تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد على السايس ص٥٩-٦٠).

ومن بين العلماء والأئمة المشهورين في هذا الدور: سعيد بن المسيب، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وسليمان بن يسار، ونافع مولى ابن عمر، وربيعة الرأي، ومجاهد بن جبير مولى بني مخزوم، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير في الكوفة، وعلقمة بن قيس النخعي، وابراهيم النخعي، والحسن البصري، والنعمان بن ثابت الشهير بأبي حنيفة، ومالك بن أنس الأصبحي، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وجميعهم يقومون بمناشطهم العلمية والبحثية في الجزيرة العربية، بين مكة والمدينة وقد ارتحلوا إلى الشام والعراق ومصر.

ثم اشتهر كثير ممن تتلمذوا على هؤلاء العلماء الأجلاء بنشر علومهم وكونوا مذاهب فقهية مختلفة، فمنهم صاحبا الإمام أبي حنيفة: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، ومن أصحاب الإمام مالك: عبد الرحمن بن القاسم، وأبو محمد عبد الله بن وهب. ومن أصحاب الإمام الشافعي: إسماعيل بن يحيى المزني، ويوسف بن يحيى البويطي.

ومن منتصف القرن الرابع الهجري وحتى سقوط بغداد، بدأ الناس الميل عن الاستقلال الفكري، ورضوا بالتقليد لأنفسهم من مذاهب الفقهاء السابقين. وكان ذلك من تأثير الظروف السياسية و الاجتماعية، حيث كان العالم الإسلامي في انقسام وتفكك وتناحر، وكثرت فيه الفتن و المحن، حتى سلط الله عليهم المغول في خراب بغداد، عاصمة الدولة العباسية وقلب العالم الإسلامي، عام ٦٥٦هـ الموافق ١٢٥٧م.

وبالرغم من إحاطة هذه الظروف السيئة بعلماء المسلمين إلا أنهم لم يتوقفوا عن البحث العلمي، بل تجاوزوا التقليد المحض وجمعوا الآثار، ورجحوا بين الروايات، وخرجوا علل الأحكام، واستخرجوا من شتى المسائل والفروع أصول أئمتهم وقواعدهم التي بنوا عليهم فتاواهم، وخاضوا المناظرات، وألفوا كتب الخلافيات، وجمعوا فيها أحكام الأئمة وأدلتهم، ونصروا مذهب إمامهم، وأفتوا في مسائل كثيرة لم يكن لأئمتهم فيها نص، فهم مكملون لمذاهب أئمتهم.

وينحصر عمل الفقهاء في هذا الدور على ثلاثة أشياء: تعليل الأحكام، والترجيح، والانتصار للمذاهب. (انظر : تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد على السايس ص١١٣-١١٤).

وبعد سقوط بغداد، بدأ انتشار التقليد عند الفقهاء، فقد ظهر علماء أجلاء من أمثال خليل المالكي، والسبكي، والرملي، وابن الرفعة، والكمال بن الهمام، والسيوطي وغيرهم ممن كانت لهم القوة الفقهية وملكات الاستنباط. ثم جاء القرن العاشر الهجري، وبدأ الفقه الإسلامي في الأفول. ولكن لا يزال هناك العديد من أهل العلم يتمسكون بعزم نقل الأمانة

العلمية من السلف إلى الخلف. وهذا هو الوضع الذي يشهده المسلمون في بيئتهم منذ سنين عديدة في مختلف أنحاء عالمنا الإسلامي.
وظلت العلوم الشرعية صامدة في أرجاء العالم الإسلامي بالرغم من قصر كثير في الجوانب العلمية والاكتفاء بالعبادات الأساسية وبعض النواحي العملية في المعاملات.

مساهمة علماء المسلمين في إثراء العالم حضاريا

لم يقتصر دور العلماء على العلوم الفقهية فقط. بالرغم من اضمحلال رمز الخلافة الإسلامية عن الدولة العثمانية وهيمنة الاستعمار الدخيل على أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي. بل كانت لهم تركات ملموسة في حياتنا اليومية. و المؤسسة على أسس علمية تأتي بالتطور الإنساني و القفزات النوعية في ميادين علوم مختلفة.

١- حركة الترجمة التي حفظت المؤلفات العلمية من الحضارة الإنسانية:

يذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام» نقلا عن البلاذري :أن الإسلام دخل مكة وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب. (فجر الإسلام - تأليف أحمد أمين ص١٤٠-١٤١).
ونقل الإسلام العرب من شعب أمي إلى شعب شغوف بالعلم والثقافة. تعلموا الكتابة والقراءة. فقد بدأ الصحابة الكرام بتوحيد مصحف القرآن الكريم وتدوين الأحاديث النبوية والسير. وبدأ الخلفاء الراشدون في تدوين دواوين الدولة باللغة العربية ثم تبعهم الخلفاء الأمويون. حتى استقر الحكم لبني العباس في بغداد. وفي عهدهم ازدهرت حركات الترجمة. حيث شملت اللغات الإغريقية. و الهندية. والفارسية. والبهلوية والسريانية». وذلك عندما دعا المأمون إلى بلاطه الباحثين من شتى أنحاء آسيا الشرقية. من الفرس و الإغريق. و الأرمن. ولقي النصارى و اليهود ترحيبا كالمسلمين. وعكف هؤلاء الباحثون على ترجمة مراجع العلوم عن اللغات الإغريقية والآرامية وتجميعها وصياغتها ونالوا عطاءً سخيًا. ومركزًا مرموقًا.
كما أوفد المأمون علماء في طلب المخطوطات الإغريقية من شتى أنحاء الشام. ومن القسطنطينية البعيدة وأرمينية لاستحضارها إلى بغداد. وهكذا ترجمت وقتذاك كنوز العلم الإغريقي إلى العربية. اللغة العالمية للإمبراطورية الإسلامية. بعد أن مضى عليها زمن مطمورة تحت ركام الثقافة البيزنطية العقيمة علميًا و المتضخمة بالجدل اللاهوتي». (المسلمون في تاريخ الحضارة. ص٤١-٤٢ - تأليف ستانوود ترجمة د. محمد فتحي عثمان).
وأنشأ المأمون في بغداد «دار الحكمة» التي تعتبر أول مركز بحوث بالمعنى الحديث في العالم. وهي مؤسسة علمية بحثية تجمع بين مهام مكتبة. و أكاديمية علمية ومركز للترجمة. يقول: مؤلف تاريخ الحضارة «ففي سنة ٨٥٠ ميلادية. تم تعريب معظم أمهات الكتب الإغريقية. وأدت إلى النهضة الحضارية في العلوم و الآداب و الفنون. وكانت شبيهة بعصر النهضة الأوروبية في إيطاليا. (انظر : تاريخ الحضارات - تأليف ويل واريل دورانت).

٢- نقل وتطوير المخترعات الصينية واليونانية وغيرها:

كان لعلماء المسلمين الفضل في نقل وتطوير المخترعات الصينية المشهورة من «البوصلة» و «البارود» و «الورق» من المشرق الآسيوي إلى الجزيرة العربية. ثم إلى أوروبا. حيث إن صناعة الورق انتقلت للعالم الإسلامي مع فتح سمرقند. ثم انتقلت هذه الصناعة للجزيرة العربية. وأنشأ الفضل بن يحيى أول مصنع للورق في بغداد عام٧٩٤م. ثم انتقلت هذه الصناعةلمصر فالأندلس وصقلية. (الحضارات - الحضارة البيزنطية ، مرجع سابق).
ويتحدث الكاتب الأمريكي ستانوود كب عن نقل المسلمين اختراعات أهل الصين : «وقد جاء تصميم العرب للبوصلة اعتمادًا على أصول صينية. وقد استعانوا بها لا على عبور البحر المتوسط فحسب. بل وعلى المخاطرة بالتوغل في المحيط الأطلسي. وقد استمدوا من الصين أيضا ابتكارا أضافوا إليه وحسنوه. فأحدثت هزة في العالم بمعنى الكلمة: ونعني بذلك البارود. وكان الصينيون يستعملونه في صورة طلقات متوهجة ـ كثيرة أو قليلة ـ لتكريم الموتى».
أما المخترع العربي فيروي أنه أدرك فكرة الاستفادة على نحو آخر من هذه المادة الخاصة المتفجرة. وهكذا استحدث العالم الإسلامي أسلوبا أفضل لاستعمالها بضغطها في صورة مدفع توالى تحسينه حتى صار رائد المدفعية الحديثة». (انظر: المسلمون في تاريخ الحضارة ص٤٧-٤٨ - مرجع سابق).
ولا يجوز التحدث عن حضارة المسلمين دون ذكر الدور العربي في التأكيد على مكانة «الصفر» في العملية الحسابية مع نقل الأرقام الحسابية والنظام العشري. حتى جعل الناس يطلقون كلمة «العربية» على تلك الأرقام. فاشتهر عند الناس على مر الأجيال بمصطلح «الأرقام العربية» وصارت كلمة « الصفر» العربية كذلك متداولة في ألسنة الناس بصيغ صوتية متشابهة في لغات العالم. ويشيد الأجيال بجهود العالم المسلم الشهير محمد بن موسى الخوارزمي الذي يستخدم لقبه « الخوارزمي» في العمليات الحسابية العشرية. وتطوير علوم الرياضيات وعلم الجبر الذي ظل معروفًا بلفظه العربي في كثير من لغات العالم. وهذه العلوم

الرياضية الرفيعة هي التي أفادت العالمين في تطوير كثير من التقنيات الحديثة التي ساعدت الإنسان في التقدم العلمي و التقني لرفاهية حياتهم في عصرنا هذا، سواءً في عمليات اكتشافات فضائية أو الحواسيب الآلية التي لا نستغنى عنها في عصرنا الحديث.

برع علماء المسلمين في مجالات العلوم المختلفة من الطب والكيمياء والفلك والجغرافيا خلال العصور الماضية. ولاشك أن التطور الحضاري ليس حكرًا لشعب أو قوم دون الآخرين، بل من سنة الله تعالى في خلقه أن يطّرد ذلك على الجميع بحسب جهدهم.

فالمسلمون ساهموا في مجال الطب مساهمة عظيمة عندما توسعت رقاع العالم الإسلامي، حيث أقبل المسلمون على حصيلة المعرفة التي كانت عند غيرهم من الأمم كالفرس والإغريق ومصر، مما يستحث المسلمين على عمليات البحث والدراسة حول العلاج والعقاقير الدوائية وتطوير نظم الكشف و التشخيص و العلاج . فقامت المستشفيات وكتبت الموسوعات الطبية.

فمن مشاهير علماء المسلمين في آسيا: أبوبكر الرازي الذي ألف كتاب «الحاوي» في الطب، وابن سينا الذي ظل كتابه «القانون في الطب» يدرس في الجامعات الأوروبية خلال العصور الوسطى حتى أواسط القرن السابع عشر.

وقد ذكر الباحثون استفادة ابن سينا من مكتبة مدينة بخارى في بحثه العلمي. وهذه المدينة الواقعة في آسيا الوسطى تبعد أكثر من ألف وأربعمائه كيلومتر من بغداد، حاضرة العالم الإسلامي، مما ينبهنا بمدى تقدم البحث العلمي في عصره. وللكيمياء جذور في الحضارة الإنسانية، حيث كان الإغريق وغيرهم يبحثون عن طرق استخراج الذهب من المعادن، ثم طور علماء المسلمين طرق الأبحاث الكيميائية، بممارساتهم الموضوعية التجريبية وفقًا للعمل المنهجي، فاكتشفوا التقطير والأكسدة والتبلور. ويكفينا الإشارة إلى اكتشاف مادة الكحول الذي كان أصل الكلمة ربما هي « الغول» كما ورد في القرآن الكريم«لَّا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ»، ثم حُرف إلى الكحول، وعادة العربية قبول صيغة الكلمة الحديثة في لغتها. وقد جاء في تفسير ابن كثير: (أن الغول هو وجع البطن، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس، وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن السدي :لا تغتال عقولهم) وهي جملة من تأثير مادة الكحول في الإنسان.

وتمكن علماء المسلمين من الاستفادة من علوم وخبرات الشعوب السابقة في النواحي التطبيقية العملية ، خصوصًا في علوم الفلك، والجغرافيا والملاحة البحرية. كما قاموا بتقدير درجات الأرض، فابتكروا خطوط الطول، و العرض و استخلصوا وسائل تحديد المواقع. وفي رعاية هؤلاء الملاحين المسلمين المهرة، أجرى الأمير هنري الملاح البرتغالي تدريب ربابنته الذين سرعان ما اكتسبوا للبرتغال الصدارة بين رجال البحر والتفوق في سرعة السفن بالنسبة لأوروبا كلها.

ويمكن للمرء أن يقرر في اطمئنان أن كولمبس الذي اكتشف القارة الأمريكية الجديدة، استمد خبراته الملاحية من المسلمين. (المسلمون في تاريخ الحضارة ص٩٥-٩٦ - المرجع السابق).

ومن الطريف أيضا، الإشارة لرحلات القائد تشنغخه أو حجي محمود شمس الصيني المسلم في عصرمينغ الصيني الذي يوافق القرن الرابع عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادي. حيث قام هذا القائد العظيم بقيادة أسطول كبير مكون مما يزيد عن ستين سفينة كبيرة، وحجم السفينة الكبيرة في الأسطول قد يزيد طولها عن١٥١متراً، وعرض٦١متراً، تحمل مايزيد عن ألف شخص. وكانت مجموع رحلات هذا القائد المشهور هو سبع رحلات بدءاً من شواطئ الصين الشرقي مرورًا بمناطق جنوب شرق آسيا ثم اختراق مضيق ملاكا بشبه جزيرة ملايو والدخول إلى مياه المحيط الهندي بعد الوقوف في سيرنديب أو سريلانكا، ليواصل رحلته حتى منطقة الخليج العربي وعدن والبحر الأحمر ثم الوصول لشواطئ المشرق الإفريقي.

كان أطقم الملاحة في أسطوله تحت قيادة ضابط مسلم اسمه «ماخوان» وهو يجيد اللغة العربية و الفارسية، وقد ألف كتابًا مشهورًا باللغة الصينية يدون فيه تفاصيل ومشاهد البلدان لسفريات القائد تشنغخه ، والخواص الملاحية في تلك الرحلات العظيمة.

ومن أهم آثار هذه الرحلات المعروفة : توسع نفوذ الصين في مناطق جنوب شرق آسيا، وتوطيد العلاقات السياسية والاقتصادية و التجارية بين الصين ودول العالم، ووصول الدعوة الإسلامية من المشرق الصيني إلى جزر إندونيسيا.

ويذكر المؤرخون بأن هذه الرحلات قد تمت في العقود الثلاثة الأولى من القرن الخامس عشر الميلادي(١٤٠٥-١٤٣٣م)، وكان حجم الأسطول ضخما، بينما لم يبدأ القائد كولمبس، مكتشف القارة الأمريكية الشهير برحلاته الأولى إلا في سنة ١٤٩٢م، أي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وكان حجم الأسطول صغيرًا نسبيًا بالمقارنة مع الأسطول الصيني. حيث كانت رحلة كولمبس الأولى مكونة من ثلاث سفن شراعية مع ٩٠ ملاحًا فقط. (ما بعد التيمورلنك - طلوع و أفول إمبراطويات العالم بين ١٤٠٥-٢٠٠٠، (تأليف جون داروين ترجمة صينية ص ٦٥،٧١).

٣- تأصيل البحث العلمي والتدريس و التطبيق العملي:

كان لعلماء المسلمين الفضل في تقعيد قواعد البحث

العلمي منذ العهد الأول للدولة الإسلامية، حيث كانت العناية بنصوص القرآن الكريم بالحفظ والتلقين، وكتابتها وفقًا لقواعد معينة حتى الآن. ثم بدأ تدوين الحديث النبوي وتطور هذا التدوين إلى علم «مصطلح الحديث» مما يدل دلالة واضحة على دقة علماء المسلمين في البحث العلمي. ثم تعاقبت الدول الإسلامية في العصر الأموي ثم العباسي، وطوروا المراكز العلمية حتى توسعت النهضة العلمية الكاملة في العالم الإسلامي، ففي بغداد كانت « دار الحكمة» التي بمثابة الأكاديمية المتكاملة التي تحتوي على كل مقومات الدور العلمي المعاصر؛ لتصبح بغداد المنبع في مجال العلم العالمي، وانتشر دور البحث و التدريس في كافة عواصم وبلدان العالم الإسلامي مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ودمشق، والبصرة، والبخارى، وسمرقند، وخوارزم، ومرو،والقاهرة، وقيروان وحتى بلاد الأندلس.

وفي التاريخ الصيني الرسمي خلال الإمبراطورية المغولية «يوان» في القرن ١٣ميلادي (١٢٧١-١٣٦٨م) وبعده أي عصر «مينغ» (١٣٦٨-١٦٤٤م) استفادت الإمبراطورية الصينية من المسلمين في إقامة «المرصد الفلكي الإسلامي» وهناك تقويم إسلامي رسمي خلال هذين العصرين واستمر هذا التقويم حتى بداية عصر «تسينغ» في أواخر القرن السابع عشر. وكذلك في ديوان القصر الإمبراطوري الصيني خلال العصرين «يوانغ و مينغ» دائرة خاصة لأطباء مسلمين وصيادلة مسلمين. (كتاب «الحضارة الإسلامية» ص ٣٤٧ تأليف تسينغ خوي الصين ٢٠٠٨م).

وأبدى علماء المسلمين روح البحث العلمي في اهتمامهم بالتطبيق العملي إلى جانب حماسهم للعلم المجرد، فازدهرت الزراعة ومختلف الحرف اليدوية، « فلم يكن الرخاء والثقافة من خصائص الطبقة الثرية وحدها، فالحضارة الإسلامية شُيد صرحها على قواعد عريضة من صالح عامة الشعب وفقا لتعاليم الأخوة الإسلامية .. ولقد أعطى النموذج الاجتماعي الاقتصادي الجديد في الحياة الدينية والسياسية وحدة دينامية حية لكل مظاهر النشاط الإسلامي. ولا يمكن النظر إلى النهضة الطفرية الاستثنائية للثقافة العربية الإسلامية منفصلة عن عامل (الوحدة) هذا الذي يبدأ على المستوى الروحي ثم يتنفذ إلى السيطرة على كل مظاهر الحياة الدنيوية». (المسلمون في تاريخ الحضارة ص٤٤-٤٥ - مرجع سابق).

وهكذا كان السلف من العلماء الأجلاء الذين هم ورثة الأنبياء، قد أدركواعظمة الخالق من خلال بحثهم العلمي، فيستحقون الوصف القرآني: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر٢٨).

السمة المشتركة في الحضارة الإسلامية الآسيوية

وقد جاءت الرسالة المحمدية بنهج الوسطية والاعتدال، ونهت عن الغلو والتطرف، وعن الإكراه في الدين، وأمرت بالمحبة و الإخاء بين البشرية يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٣-٣٤) وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ..الآية﴾ (آل عمران١٥٩) وهكذا سار السلف الصالح على هذا النهج، فأعز الله بهم الإسلام واعتزوا بالله، فكانوا سادة الدنيا وصنعوا حضارة إسلامية دامت أكثر من عشرة قرون كنموذج يقتدى به حتى يومنا هذا.

لقد سبقت الإشارة في بداية الكلام إلى أن انتشار الإسلام في كثير من البلدان الآسيوية كان سلمًا لا حربًا، وبحكم وجود المسلمين في بلاد الصين و المشرق الآسيوي منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمن واستمرار التبادل الثقافي بين العالم الإسلامي وبلاد المشرق الصيني وحتى مناطق جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى، فقد عم التفاهم والوئام في هذه البلدان المترامية الأطراف، وعرف المسلمون وغيرهم التعايش والاحترام المتبادل.

السمات الحضارية التي تنشدها تعاليم الإسلام السمحاء

ومن الواقع المشهود للمسلمين في بلاد المشرق الآسيوي عمومًا خلال القرون الأربعة الماضية: تعايش مماليك المسلمين في مناطق جنوب شرقي آسيا (ماليزيا، إندونيسيا،بروناي وجنوب تايلاند) مع غير المسلمين جنبًا إلى جنب لعدة قرون حتى يومنا هذا، فأصبح الهنود والصينيون من أهم العناصر السكانية في البلاد، ولا تزال الغالبية منهم غير مسلمين. كذلك تعايش المسلمون في شبه القارة الهندية مع هنود يتبعون ديانات أخرى منذ قرون عديدة و حتى الوقت الحاضر.

التحديات المعاصرة أمام علمائنا
المؤثرات الدخيلة على المجتمع الآسيوي:

منذ بداية عصر التوسع الأوروبي خلال القرن السابع عشر الميلادي، هناك مد إسلامي أيضا في المشرق الآسيوي بسبب المناشط الاقتصادية ليتم الترابط بين جنوب شرق آسيا شمالا بالصين وغربا بشبه القارة الهندية والجزيرة العربية وصولا إلى دواخل القارة الإفريقية.

ويتمثل التوسع الاستعماري الأوروبي في الاكتشافات البحرية

المصاحبة بإنشاء الشركات التجارية لاستيراد الموارد من القارة الآسيوية، ثم تعزيز القوات لاحتلال واستعمار هذه المناطق. وفي نفس الوقت تتحرك الكنائس الأوروبية في بث التعاليم النصرانية في آسيا. فكانت السفن البرتغالية هي الأولى في هذه «الاكتشافات الأوروبية» ثم تعاقب عليها «الأسبان وهولندا ثم إنجلترا» مع التغلغل الروسي في أجزاءً كثيرة من آسيا الوسطى.

لقد تدفقت القوات الأوروبية لاحتلال و استعمار بلاد الهند وبعض مناطق جنوب شرق آسيا حتى شبه جزيرة الهند الصينية وأجزاء من بلاد الصين. فدخلوا أفواجًا لاستعمار البلدان الآسيوية التي معظم أجزائها من العالم الإسلامي ونتيجة هذا التأثير، اضطربت المفاهيم عند كثير من المسلمين.وبالرغم من النفوذ الأوروبي على هذه الأجزاء وفقدان الحكم السياسي الإسلامي في البلاد. فإننا نشهد الوجود الإسلامي بين عوام الشعب متعمقًا و متأصلا، ولم يتزعزع أمام طغاة الاحتلال ومحاولات الانتشار المسيحي أو الأفكار المغايرة لتعاليم الإسلام، مما يدل دلالة واضحة على نجاح علماء المسلمين في تثبيت إيمانهم أمام التيارات المغايرة وصدِّهم للغزوات الثقافية الأوروبية، بالرغم من وجود مظاهر للتأثيرات الأجنبية الدخيلة في المجتمعات الإسلامية.

وتظهر قوة ترابط المسلمين خلال هذه الحقبة الزمنية التي طالت لعشرات أو مئات السنين، فنشاهد النهضة و الانبعاث في العالم الإسلامي من جديد خلال عشرات السنين الأخيرة. حيث ازدهرت العلوم الإسلامية المختلفة، وحرصت كثير من الدول على التمسك بالمبادئ الإسلامية في نظمها السياسية والتشريعية والاقتصادية.

ولكننا نشهد كذلك مظاهر معاكسة لهذه النهضة الإسلامية، وذلك في نظري المتواضع هو نتيجة خلط المفاهيم وعدم التحري من الأصول العلمية. ومن هذه المظاهر المقلقة التي عم بلواها في عالمنا المعاصر ، فلم يسلم المسلمون من أذاها:

التعصب ومحاولات الاقصاء للآخرين، وأوهام التفوق العرقي والخطابات المغرضة من خلال التعليم والتلقين والإعلام، والتوظيف السياسي للدين، وكذلك التشكيك في التمييز ضد المرأة والأخلاقيات. وكلها ستأتي للمجتمع الإنساني بالثمرات الموبوءة التي لاتحمد عقباها، ومن هذه الثمرات الكراهية والتطرف التي تنتج سمًا زعافًا في الإرهاب.

بعض الإصلاحات المأمولة:

وحول مسؤولية العلماء في كيفية إيجاد الطرق النافعة في مواجهة التحديات المعاصرة ، لضمان استمرارية حضارتنا الإسلامية في أدائها الفعال، سأطرح بعض النقاط:

١- إصلاح التعليم والتربية : وفي هذا الموضوع يجب التركيز على دور الأسرة والعائلة، في تعليم أبناء المسلمين أصول وقواعد الإسلام الصحيحة قولا وعملا، منذ نعومة أظفارهم مع تنشئتهم في بيئة صالحة سليمة. ثم تأتي مسؤولية المدارس والمعلمين، إضافة إلى المناهج الدراسية، حتى نتمكن من التصدى لهجمات البث الإعلامي والانفتاح المعرفي في عالمنا، وهي من مسؤولياتنا جميعا، ولا يفوتنا في ذلك أهمية توجيه الأطفال والشباب، والعناية بهم، وبث روح الابتكار والتجديد وفقا لقواعد الإسلام، حيث إنهم أملنا في المستقبل.

٢- تكثيف الحوار والتبادل بين فئات مختلفة في المجتمع الإنساني، حيث يمكن خلال هذه الجهود زيادة التفاهم الصحيح بين الناس وإزالة الظنون والملابسات عن الفئات المختلفة في المجتمع ، ثم إيجاد القواسم المشتركة في التعايش ، ليتم الارتقاء بالتعاون المثمر والبناء.

٣- دعوة إلى تأصيل القيم والأخلاق. فمن المظاهر الملفتة في المجتمع اليوم، الانحلال الخلقي وفقدان التسامح وانعدام الاحترام المتبادل، فهذه كلها تعتبر من أهم أسباب انحطاط المجتمع و تدهور أحواله. فيجب على جميع الأفراد بذل الجهود في التناصح وتأصيل القيم و الخلق الفاضلة. ويمكن ذلك بدءًا من نفس كل فرد ثم يتعدى لمن هو أقرب له ثم على المستوى الأسري والصحبة الطيبة ثم تنتشر هذه الفضائل و الحسنات في الدوائر المختلفة التي تتكون منها الجماعات و المجتمع.

٤- تكثيف الدور الإسلامي الفعال في المجتمع الدولي. فمن خلال الدور الحكومي والرسمي يمكن للمسلمين المشاركة والإسهام في صياغة الأنظمة واللوائح العالمية وتقديم ما هو مفيد وناجع من الثمرات العلمية الإسلامية في إيجاد الحلول المطلوبة.

٥- توحيد الخطاب الإسلامي في التناصح بين المسلمين و إزالة المظالم الاجتماعية والتحكيم إلى شريعة الإسلام في حل قضاياهم. وذلك بالتمسك بكتاب الله تعالى وبهدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وبالتطبيق لشريعة الله تعالى تطبيقًا صحيحًا مع إعلام الناس بالمنهج الإسلامي الصحيح. وتوحيد الجهود لمنع ازدواجية العمل الإسلامي، توفيرًا للطاقة وتسخيرًا للإمكانيات المتاحة للفوائد المرجوة.

هذه قطرة من المحيط اقتبستها من ثمرات جهود العلماء الأجلاء والباحثين الأفاضل، راجيًا أن أكون على صواب . وما توفيقي إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التطرف المنسوب للإسلام ليس هو السبب الأساسي في مشكلة الإرهاب بأوروبا

بقلم: جوشوا اولاند تويتر

ترجمة: حسن أحمد عديل

المصدر: مجلة (ذي نيشن) الأمريكية ـ ٣٠ مارس ٢٠١٦م

يقول سعادة الأستاذ أكبر أحمد السفير الباكستاني السابق لدى المملكة المتحدة، وأستاذ الدراسات الإسلامية الحالي بالجامعة الأمريكية في واشنطن: «إنك إن حدثت الرجل الفرنسي العادي بأن المهاجرين من الجيل الثالث في ضواحي فرنسا لا تتوافر لديهم خدمات مياه للشرب، وإن كثيراً منهم جهلة، ولا يطمح أحدهم في الحصول على عمل، أو يحلم بأن يكون عضواً منتجاً في المجتمع الفرنسي- فإنه سوف لن يصدقك أبداً ، بل يصر على أنهم مواطنون فرنسيون يستمتعون بالفرص ذاتها التي يستمتع بها أي مواطن فرنسي آخر».

يعكف الأستاذ أحمد وفريقه على دراسة شاملة على مستوى القارة الأوروبية عن الجاليات الإسلامية. جاء فيها: «إن ٣٠٪ من سكان مرسيليا مهاجرون. وليس لديهم مسجد مركزي جامع, ويعيشون في كنتونات (بيوت مصنوعة من مخلفات الخيش والكرتون والصفيح)، ومعظم هؤلاء بلا عمل. وليس لديهم مدارس محترمة. والحالة ذاتها موجودة في بلجيكا. التعليم لديهم متدنٍ جداً. وفرص الحياة سيئة. مرفوضون اجتماعياً - فلا يعتبرهم أحد أنهم جزءٌ لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الأوروبي- وذلك كافٍ لإذكاء غضبهم إذكاءً شديداً، الأمر الذي دفع بعض الشباب إلى الارتماء في أحضان من يرفع لواء التشدد في الإسلام».

إن التباين بين المجتمعات الإسلامية الأوروبية, والمجتمعات الإسلامية في الولايات المتحدة كبير ومؤثر. فالمسلمون في أمريكا أكثر غنًى وازدهاراً، ومستواهم التعليمي أفضل، والفرص متاحة أمامهم للاستثمار ببلدهم. فهم سياسياً أكثر نشاطاً, وأوفر حظاً، ويعيشون

في مجتمعات تعددية. ولا يوجد دليل يؤكد تبنيهم لوجهات نظر دينية متطرفة، أو يرتكبون أعمال عنف بمعدل أكبر من المعدل الذي يرتكبه اليهود والنصارى.
أما في قارة أوروبا، فيعيش المهاجرون المسلمون حياة مهمشة اقتصادياً واجتماعياً تساعد على إيجاد بيئة خصبة للتشدد والتطرف.
لكن كل ما ذكر ليس بخبر جديد على علماء الاجتماع في أوروبا، أو أمراً غير معلوم لخبراء محاربة الإرهاب على جانبي المحيط الأطلسي. بَيْد أن السياسة الأوروبية تعرقل دائماً التفاهم في تلك الأمور. فالأحزاب القومية المتطرفة في تزايد مستمر عبر القارة، والزعماء السياسيون الذين ينادون بمعالجة المشكلات الاجتماعية المتجذرة التي تغذي التشدد المتنامي في القارة متهمون غالباً بالتساهل مع الإرهاب، أو بتدليل المتطرفين.
يقول أوليفر روى: «المشكلة ليست في تشدد الإسلام، وإنما في إضفاء مسحة التشدد على الإسلام».
النتيجة: تركيز شديد على علوم اللاهوت الراديكالي دون أن يقابل ذلك تركيز كافٍ على الظروف والعوامل التي تمكّن هذا التشدد. يقول أحمد «إن القانون الأوروبي يعتمد في تحليلاته وتفسيراته على تقييم الأوضاع من منظور لاهوتي» لذلك فإنهم يدرسون القرآن لإيجاد تفسير لظاهرة العنف والتشدد، ولكننا لا نرى إلا شباباً ساخطاً، وجاهلاً، وخائبَ الظن بالآخرين، وغير ساعٍ إلى أن يكيف وضعه في المجتمع. انظر إلى أولئك الأغبياء الذين يفجرون الأشياء وهم يشاهدون صور فيديو تنظيم الدولة الإسلامية وكل واحد منهم يحمل زجاجة خمر في يد وقطعة لحم كبيرة في اليد الأخرى.
في حادثة مؤثرة في عام ٢٠١٤م، أوضح بريطانيان أقرا بتهمة الإرهاب، أنهما اشتريا كتباً للمبتدئين للتعرف على الإسلام قبل سفرهما إلى سوريا للقتال إلى جانب تنظيم الدولة الإسلامية. كتب أوليفر روى، الأستاذ في المعهد الجامعي الأوروبي بفلورنسا، في إيطاليا، ومؤلف الكتاب الذي عنوانه «الإسلام من منظور العولمة» يقول: إن ما تواجهه أوروبا اليوم لا يتعلق بالدين ولا السياسة، وإنما بثورة الشباب. المشكلة كما يوضح أوليفر روى «ليس التشدد في الإسلام، وإنما إضفاء مسحة الإسلام على التشدد».
تقدر أعلى نسبة وصلت إليها البطالة وسط المهاجرين

المسلمين في أوروبا بـ ٤٠٪، مع اختلاف النسبة من دولة لأخرى. كشف تقرير أصدره العام الماضي مركز البحوث البريطاني ديموز (DEMOS) الذي يعد هيئة تعليمية خيرية عن أن المسلمين في المملكة المتحدة يواجهون احتمال التعرض للفقر بنسب متفاوتة، فبعضهم تنقصهم خدمات الانترنت، وبعضهم لا يملكون رأس المال، أو المهارات التي تسهل على أصحابها اللحاق بالطبقة الوسطى في المجتمع، والتصدي للتمييز في تخصيص الفرص الوظيفية.
في عام ٢٠١٠م أجرى ديفيد ليتن، أستاذ العلوم السياسية في جامعة استانفورد دراسة قدمت فيها سير ذاتية مزيفة لشركات فرنسية تحمل أسماء وهمية أشارت إلى أن المتقدمين للعمل فيها مهاجرون مسيحيون أو مسلمون تتساوى مؤهلاتهم وكلهم من دولة السنغال. ولكن السير الذاتية التي لأسماء مسيحية معروفة سجلت عملاً سابقاً في منظمة إغاثة كاثوليكية والسير الذاتية التي تحمل أسماء إسلامية سجلت عملاً مشابهاً مع منظمة خيرية إسلامية.
على الرغم من أن المتقدمين للوظائف من بلد واحد، إلا أن المسيحيين الذين يستدعون للمعاينة يساوي عددهم مرتين ونصف عدد المسلمين. وجاء في بيان صحفي أن فريق ليتن لاحظ أيضاً أن دخل الأسر من الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين أقل بأربعمائة يورو في الشهر عن دخل الأسر النصرانية التي تماثلهم في العرق وفي الظروف الاجتماعية الاقتصادية.
يمكن لعدد يسير من البشر يعيش حياة مثل تلك الحياة الهامشية المزرية أن يتسبب في إثارة الفوضى

والاضطراب. قال جين شارلس بريزارد, الخبير الفرنسي في الإرهاب, ومؤلف كتاب الوجه الجديد للقاعدة, قال لمجلة (ذي نيشن): إن أوروبا الغربية تواجه حوالي ٦٥٠٠ إرهابي نشؤوا وترعرعوا في داخل البيت الأوروبي من أصل مجتمع قدرت أعداده بحوالي ١٩ مليون نسمة. أصبحت السجون في كثير من الدول الأوروبية مصانع تفرخ المتطرفين. فهناك خط إمداد أنبوبي يبدأ فيه بارتكاب جرم تافه في أكواخ المهاجرين, فيمر عبر النظام القضائي, فيقود أولئك الجانحين إلى منظمات (الإرهاب الإسلامي). وتلك مشكلة خطيرة استمرت زمناً طويلاً. ولكن مايكل بيرنيوم, مراسل الواشنطن بوست قال العام الماضي للصحيفة: إن فرنسا على الرغم من أنها كانت تعلق ملصقات أسامة بن لادن في غرف نزلاء سجونها, إلا أن سلطاتها بدأت متأخرة جداً في معالجة الأمور, وتظل جهودها متواضعة جداً مقارنة بحجم المشكلة. فالتعرف على الأفراد الذين يُخشى عليهم الوقوع في براثن التشدد ليس أمراً هيناً. وقال مات أبوزا, مراسل نيويورك تايمز للصحيفة إنه: « على الرغم من ملايين الدولارات التي أنفقتها الحكومة بحثاً عن أسباب التطرف إلا أنه حتى هذه اللحظة لم يجمع الباحثون على الأسباب التي تقود الفرد ليكون متطرفاً.

المشكل الحقيقي يكمن في الإخفاقات الأمنية - فقد فشلت الشرطة, والاستخبارات الأمنية على الدوام في وقف تدبيرات الأفراد الذين تطالهم كاميرات المراقبة». فالأجهزة الأمنية في حالة ارتباك, حسب قول بريزارد: «إذ لا تحس كل الأجهزة الأمنية للدول بذات التهديد, وظل الاتحاد الأوروبي عاجزاً عن أن يمد الدول الأعضاء في الاتحاد بالإمكانات التي كانت تطالب بها لسنوات.»إن مشكلة الاتحاد الأوروبي هي دائماً تبادل المعلومات بين قوات الشرطة القومية؛ إذ تعارض بعض حكومات الدول الأعضاء فكرة تشديد مراقبة الحدود بين دول الاتحاد. وباءت بالفشل لسنوات عدة الجهود التي بذلت لتكوين قاعدة بيانات موحدة للاتصالات الإلكترونية لمعلومات المسافرين الجويين, وتتبع حركة الإرهابيين المحتملين منهم؛ وذلك بسبب الاهتمام بالحريات المدنية.

ولكن مع الأخذ في الاعتبار كل التدابير الأمنية التي اتخذت, فإنه من المهم جداً أن نتفهم أن التحسن في هذا المجال وحده لن يحل المشكلة. فلن يكون هنالك عدد كافٍ من أفراد الأمن للكشف عن الشباب الساخطين الذين يمكن أن يمثلوا تهديداً, يجعل أوروبا دولة بوليسية كبرى بأعجل ما يكون. فمن المستحيل تشديد الحراسة على هدف ناعم - فاليوم يحاصر أفراد الأمن المتنزهات, ولكن ليس هنالك أعداد كافية لحراسة كل المطاعم والمراقص في أوروبا. فبروكسل كانت تحت أعلى درجات التأهب والاستعداد عندما نجح أربعة من الإرهابيين في التسلل لمهاجمة المطار, وهم من بين المراقَبين والمطلوبين أمنياً في كل الدول الأوروبية.

وتلك المشكلة لا يمكن حلها في مجتمع مفتوح وفقاً للقانون الوطني الأوروبي ـ المشروع الذي يحظى بتأييد سياسي ضئيل- والذي هو إلى حدٍ كبير وسيلة لمعالجة المشكلات باتقاء التشدد قبل بدئه. يقول بريزارد: السؤال الجوهري الأكبر هو, كيف يمكننا إيجاد ظروفملائمة لأولئك الأشخاص بتلك المجتمعات حتى لا يقعوا في مهالك التشدد؟ وتساءل بريزارد: « كيف يمكننا التعرف على الأشخاص الذين يمكن أن تأتي منهم خطورة؟ ظلت المملكة المتحدة تحاول أن تنفذ على المستوى المحلي إنتاج بعض البرامج الإرشادية المحلية, ولكن لسوء الحظ, تلك البرامج المحلية الصغيرة لم يعد إنتاجها على المستوي القومي في مثل هذا الموضوع الجوهرى. فمعظم تلك البرامج لا تعدو كونها رمزية فقط. إذ يزور قادة الأديان مراكز تلك المجتمعات في المناطق المهمشة, وينظمون مهرجانات رياضية للشباب, ويتعهدون بتعاون أكبر بينهم وبين المسؤولين والقادة المحليين لتلك المناطق, ويلتقطون صوراً تذكارية معهم, ثم يعودون إلى منازلهم.

يرى أكبر أحمد, وآخرون أن مصدر المشكلة هي تلك المجتمعات المحبطة, ولا يمكن حل المشكلة إلا بمعالجة وضع تلك المجتمعات. يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية منطقة نزف دموي في العراق وسوريا, يمكن أن تتم هزيمته في السنوات القليلة القادمة, ولكن أوروبا, سيكتب عليها معاناة هجمات إرهابية خطيرة إلى أن تقبل نخبها مواجهة الأسباب الطفيفة في نظرها, ولكنها تسبب انقسامات مميتة تفجر العنف بين مواطنيها. ويقول أكبر: « عندما نتحدث عن حلول طويلة المدى نعني بذلك التعليم وفرص العمل والاستثمار في تلك المجتمعات. ولكن من غير تلك الحلول الطويلة الأجل أخشى ألا يزيد الوضع إلا سوءًا».

ندوة « الحج بين الماضي والحاضر»
توصي بإصدار موسوعة عالمية للمسجد الحرام والمسجد النبوي

تغطية : أسامة بامعلم

اختتمت ندوة الحج الكبرى في دورتها الحادية والأربعين التي عقدت في مكة المكرمة في الفترة من ٢-٤ من شهر ذي الحجة ١٤٣٧هـ. الذي يوافقه من ٤-٦ سبتمبر٢٠١٦م تحت عنوان: الحج بين الماضي والحاضر التطورات والتنظيمات في الحج وأثرها في تحقيق مقاصد الحج الكبرى.

وقد قام وزير الحج والعمرة الدكتور محمد صالح بن طاهر بنتن بافتتاح الندوة، التي ضمت لفيفاً من أصحاب السماحة والمعالي والفضيلة والسعادة. وقد أسهم في إعداد أبحاث هذه الندوة نخبة من العلماء والخبراء والمفكرين وأصحاب الرأي والباحثين من كلِّ أنحاء العالم الإسلامي ومن الجاليات الإسلامية في البلاد الأخرى.

أهداف الندوة

يمكن تحديد الأهداف الرئيسة لهذه الندوة في إظهار أهمية فريضة الحج في الأمة الإسلامية واهتمام المسلمين وولاة أمورهم بهذا الركن العظيم ومشاعره في مختلف العصور. وإبراز أنواع التنظيم الإداري والعمران الإسلامي الحضاري في مختلف العصور، وارتباط ذلك بالشعائر الدينية ومقاصدها. وتبيين أن التطور الإنساني الحضاري يشمل جميع الميادين

الدنيويـــة والتعليمية والاجتماعيـــة والدينية، وأنها لا ينفك بعضها عن بعض. وإظهـــار أن الثبات يكون في العقائد والعبادات والشرائع المحكمة، وأن التطور والتغير يكون في الطرق والوسائل والأعراف والتنظيمات. ورسم خريطة المحطات التاريخية الكبرى للتغيرات الأساسية في مشـــاعر الحج . وإبـــراز النقلة النوعيـــة في تطوير مشاعر الحج في العصر الحديث، وفي العصر السعودي بخاصة. وإبراز دور شـــعيرة الحج فـــي تحقيق أمن الأمة الإسلامية ونهضتها وفي توعية وتضامن شعوبها في مواجهة المخاطر المشـــتركة والتغلب عليها. والتعريف بالمشروعات العملاقة الجارية حالياً والمخطط لها، وأثرها على تيسير أداء الشـــعيرة وتحقيق مقاصدها، بمواكبة أحدث تقنيات العصر الحديث ومعطياته.

محاور الندوة

قد انتظمتْ أعمال ضيوفِ الندوة في ســـبع جلســـات علمية تناولـــتْ مختلف الموضوعـــات والقَضايا التي شكلت محاور الندوة. وشـــارك في إثرائها بمداخلاتهم وتعليقاتهـــم عددٌ من أصحـــاب الفضيلـــة والمعالي والسعادة من رجال الفكر والإعلام والأكاديميين.

فناقش المحـــور الأول: « فقه الحج بـــين الماضي والحاضر» وتضمن الثوابـــت والمتغيرات في فقه الحـــج. وتفعيل مقاصد الشـــريعة في الحج. وتفعيل قواعد التيســـير ورفع الحرج في الحج. وتفعيل قواعد الحاجة والضرورة في الحـــج. وتفعيل فقه الأولويات في الحج. كما ناقش المحور الثاني: « عمارة المسجد الحرام ومشاعر الحج بين الماضي والحاضـــر» وتضمن العناصـــر التالية: تطـــور المواقيت المكانية. وعمارة المســـجد الحرام وتوسعاته: «الكعبة وكســـوتها،المطاف، المســـعى، المقام، وتطوير مشاعر عرفـــة ومزدلفة ومنـــى. وتطوير مرمـــى الجمرات.وأما المحور الثالث: إدارة الحـــج وتنظيمه بين الماضي والحاضر. فناقـــش إمارة الحج والإشـــراف عليـــه. وتنظيم وصول الحجـــاج وتفويجهم ومغادرتهم. وطرق ووســـائل نقل الحجاج داخل مكة والمشـــاعر. والمطوفون ومؤسسات الطوافة. والهـــدي والأضاحي. وناقش المحور الرابع: الأمن في الحج وسلامة الحجاج بين الماضي والحاضر.وتضمنت عناصره مفهوم الأمن في الحـــج. والطرق الموصلة إلى مكة المكرمة وتأمينُها. والأمن الفكري في الحج. والأمن الغذائي والصحي في الحج. والحماية من الكوارث، وتأمين ســـلامة الحجاج. وبحث المحور الخامس: الإعلام والتوعية في الحج بين الماضي والحاضر. وناقش الدور الإعلامي في تعريف المســـلمين بمناســـك الحج ومقاصده.. وسائله، وآثاره. والـــدور الإعلامي في توعية الحجاج.. وســـائله، وآثاره. والدور الإعلامي في تحقيق الأمن في الحج وسلامة الحجاج. والإعلام الجديد في الحج، وأثره في نشـــر ثقافة الحج والتعريف بالإســـلام. وتجارب الدول والمؤسســـات الإســـلامية فـــي توعية الحجـــاج. بينما ناقـــش المحور السادس: المناشط الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الحج بين الماضي والحاضر. واستعرض صور التواصل الاجتماعـــي بين الحجاج في الحج بـــين الماضي والحاضر.

والعلاقات الاجتماعية بين سكان الحرمين الشريفين والحجاج. والنشاط التجاري والاقتصادي في الحج.. صوره، وآثاره. والنشاط العلمي والثقافي والدعوي في الحج «الدروس، والندوات.....». واختتمت الندوة بمناقشة المحور السابع بعنوان : تطور تنظيم الحج وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى. وناقشت فقه الحج في العصر الحاضر وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى. وتطور عمارة الحرمين الشريفين وتنظيم إدارة الحج وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى. وتطور وسائل تحقيق الأمن والسلامة في الحج وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى. والتطور الإعلامي والثقافي في الحج وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى. والتطور الاجتماعي والاقتصادي في الحج وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى.

الجلسات العلمية

كما نظّمت الندوة في برنامجها ستَّ محاضرات، تفضل بإلقائها نخبةٌ من العلماءِ، فأثروا بطرحهم المتميز موضوع الندوة والمحاضرات، هي:

المحاضرة الأولى: (الأمن في الحج بين الماضي والحاضر وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى)، ألقاها معالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، إمام وخطيب المسجد الحرام، المستشار بالديوان الملكي، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

المحاضرة الثانية: (فقه الحج في العصر الحاضر وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى)، ألقاها الشيخ الدكتورشوقي علام، مفتي الديار المصرية.

المحاضرة الثالثة: (تفعيل قواعد الحاجة والضرورة في الحج)، ألقاها معالي الدكتور عبدالله بن محمد المطلق، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، المستشار بالديوان الملكي.

المحاضرة الرابعة: (عمارة المسجد الحرام وتوسعاته «الكعبة وكسوتها، المطاف، المسعى، المقام،..» بين الماضي والحاضر وأثرها في تحقيق مقاصد الحج الكبرى)، ألقاها معالي الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، إمام وخطيب المسجد الحرام، الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

المحاضرة الخامسة: (كلمةٌ توجيهيةٌ لسماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ)، ألقاها نيابةً عنه معالي الدكتور عبدالله بن محمد المطلق، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، المستشار بالديوان الملكي.

المحاضرة السادسة: (صور التواصل الاجتماعي بين الحجاج في الحج بين الماضي والحاضر وأثره في تحقيق مقاصد الحج الكبرى)، ألقاها معالي الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

نتائج وتوصيات الندوة:

١- تؤكد الندوة على أنّ التشريع الإسلامي رغم ثباته؛ اتسم أيضاً بمرونةٍ تُمكنه من مواكبة الواقع،

والاستجابةِ للمتغيرات والمستجدات، والنظر في المآلات، ومراعاة الحاجات والضرورات، على نحو ييسرُ للحجاج أداء نسكهم، ويكفل سلامتهم، ويدرأ الحرج عنهم، وهو أمرٌ مقررٌ عند عامة الفقهاء من كافة المذاهب، ومراعاته اليوم باتت أكثر لزوماً وضرورة .

٢- توصي الندوةُ المجامع العلمية والهيئات الشرعية بإنشاء وحدات متخصصة لرصد مستجدات الحج والعمرة، ليتسنى بحثها بأناةٍ وبصيرةٍ، بما يكفل تقريرَ أحكام تحقق مقاصد الشرع الحنيف.

٣- تؤكد الندوة أنّ إيلاء العناية بشأن إمارة الحج من شأنه أن يسعى في تحقيق المصالح والغايات من هذه الفريضة، وقد حظي أمرُ الإمارةِ في الحج باهتمام بالغ منذ القدِم وحتى عصرنا هذا الذي تقوم فيه حكومةً المملكة العربية السعودية عبر وزاراتها المختلفة بتنظيم أمور الحجِّ، ابتداءً من قدوم الحجاج من بلدانهم، ومروراً بالحفاظ على أمنهم وسلامتهم وتيسير تنقلاتهم، وانتهاءً بعودتهم لبلدانهم سالمين.

٤- توضح الندوة بأنّ آلية رمي الجمرات كانت من أهم مشكلات الحج عبر العصور، وتثمن الندوة الأبحاث والدراسات العلمية المعمقة التي أجرتها المملكة، والتي مهدت لتشييد الصرح الهندسي العظيم (منشأة الجمرات)، بشكل فنيٍّ رائع راعى التقنيات والشروط العلمية والعملية والأمنية والبيئية المناسبة لعدد الحجاج المتزايد، مما أسهم في راحة الحجاج وسلامتهم أثناء القيام بهذه الشعيرة، تحقيقاً لمقصد حفظ النفس الذي جاءت الشريعة بمراعاته.

٥- تؤكد الندوة على أنّ دين الإسلام في تشريعه شعيرة الهدي والأضاحي قد حقق نقلةً قيمية وحضارية كبيرة، فبعد أن كانت إراقة دماء الأنعام في الجاهلية مظهراً للشرك والخرافة وإهدار الأموال وإحياء قيم الكبر والسمعة؛ أصبحت في ظل شريعة الإسلام وسيلةً لتعميق توحيد الله وترسيخ القِيم الأصيلةِ مِن ذِكره سبحانه وشكره، وتحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وقد اندثرتْ جملةٌ من هذه القيم في حقب سالفةٍ كانت فيها اللحوم تهدر وتترك للتلف والفساد، فجاء مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من الهدي والأضاحي، فأسهَم في إحياء ما اندثر من هذه القيم وتحقيق مقاصد الشريعة من هذه الشعيرة.

٦- تؤكد الندوة على ضرورة توعية الحجاج بالأحكام الشرعية والأمور التنظيمية الشاملة المتعلقة بالحج، ولن يتم هذا إلا بتضافر جهود العلماءِ وكافةِ المسؤولين عن تنظيم شؤون الحج بما يضمن الأداء السليم والممارسة الحقة لهذه الفريضة لتلافي المظاهر السلبية المتكررة من افتراش وتزاحم وتدافع ونحوها.

٧- تشيد الندوة بالتجربةِ الماليزيةِ في توعية الحجاج قبل قدومهم إلى الحرمين الشريفين، مما يسهم في تأديتهم للفريضة بنظام وانضباط. والندوة إذ تشيد بهذه التجربة فهي ترىَ فيها مثالاً حرياً أن يُحتذى في بقية بلدان الحجاج.

٨- تؤكد الندوةُ على أهميةِ وسائل الاتصال الحديث، وتطبيقات الهواتف الذكية التي أضحت جزءاً من حياة الناس اليوم، وتشيد بما تمّ إنجازه في هذا السياق من برامج توضح للحجاج والعُمّار أمورَ مناسكِهم وذلك من قِبَل العديد من الجهات، وتوصي قاصدي بيت الله الحرام بالاستفادة منها، كما تدعو الندوةُ المؤسساتِ ذات الصلة إلى إيلاء مزيدِ عناية بهذا المجال على نحوٍ يواكب العصر ويلبي حاجة المسلمين.

٩- تثمن الندوة الجهود الكبيرة التي تتالت في العهد السعودي، منذ عهد الملك المؤسس ، يرحمه الله، وحتى اليوم، لتمكين الطوافة وتطويرها، وإصدار المراسيم واللوائح المختلفة المنظمة لمهنة الطوافة والارتقاء بها، مما كفل خدمة الحجاج وإرشادهم ورعايتهم .

١٠- تؤكد الندوة أنّ النظام الاقتصادي الإسلامي أسهم في زيادة حجم التبادل التجاري في الحج، وذلك حين شرع التجارة في الحج -ضروريةً كانت أو حاجيةً أو تحسينية-، وهذا يُبرز بوضوح أنّ دنيا المسلمين لا تنفصل عن دينهم، وتهيب الندوة بالمسلمين أن يراعوا مصالحَ الحج جميعاً، ومنها المصالُح الاقتصادية، بحيث تنال نصيبها من الاهتمام والتطوير.

١١- توصي الندوة بإصدار موسوعةٍ علميةٍ عالميةٍ للمسجد الحرام والمسجد النبوي، تكون مرجعاً شاملاً يُوثق جميع ما يتصل بهما من جوانب عمرانية وحضارية وفقهية وأدبية وفكرية وتاريخية ونحوها، ويرصد ذلك عبر التاريخ، انتهاءً بما بذلته الدولة السعودية من جهودٍ متتابعة مشكورةٍ.

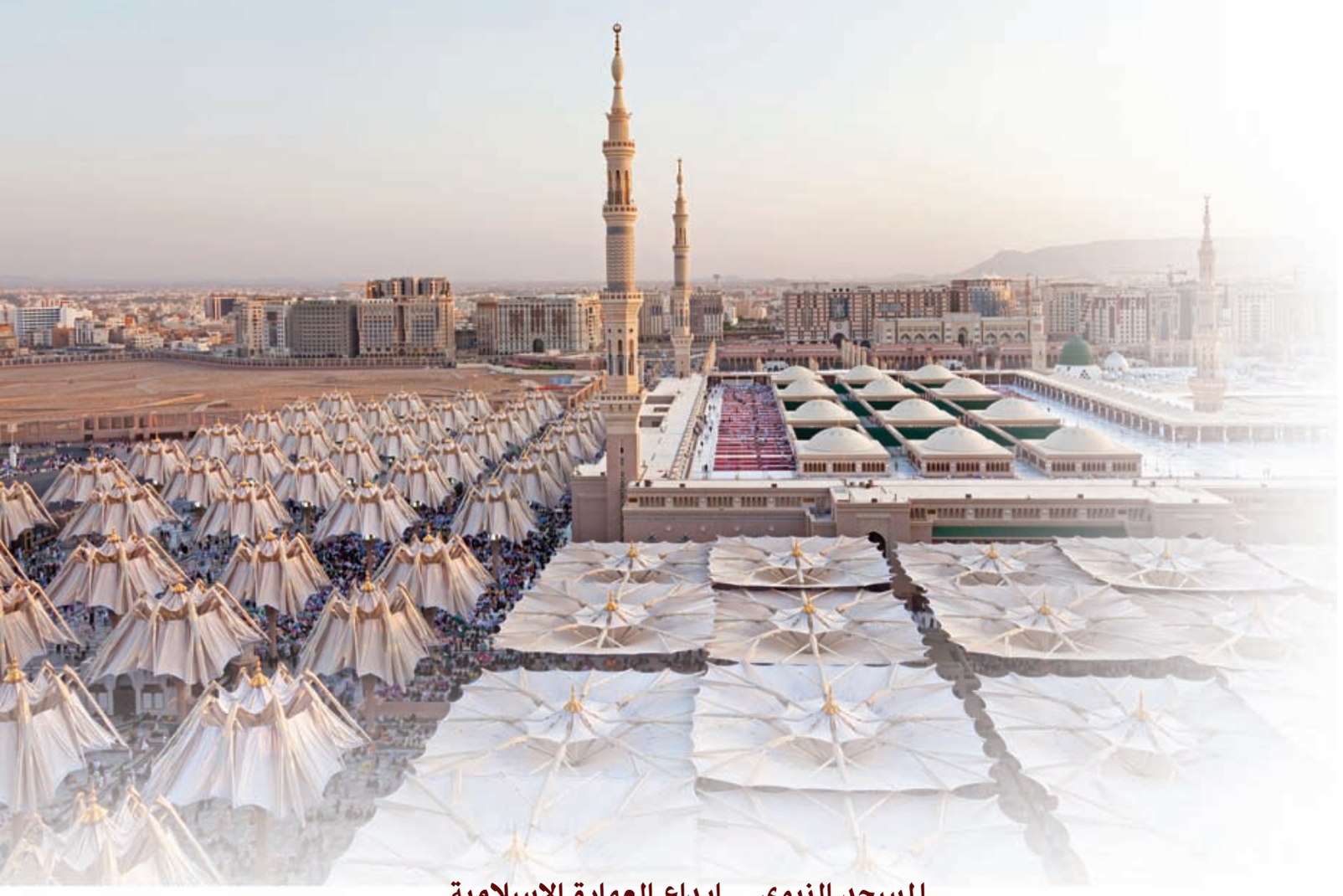

المسجد النبوي .. إبداع العمارة الإسلامية

مراحل البناء من العهد النبوي إلى العهد السعودي

إعداد: د. عبد الله الشيعاني

يحتل المسجد النبوي بالمدينة المنورة في قلوب المسلمين كافة مكانة عظيمة, حيث يزوره من يفد إلى هذه البلاد الطاهرة لأداء مناسك الحج والعمرة للصلاة فيه والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى صاحبيه - رضوان الله عليهما.

وتتجلى للناظر في جنبات المسجد النبوي العناية الفائقة والاهتمام بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة فيه من قبل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز - حفظه الله - حيث تقوم بشكل دائم على إضافة كل ما من شأنه خدمة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارته ليستقبل الزوار على مدار العام وهو في أبهى حلة .

التوسعة السعودية

بعد توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - كان من اهتماماته الأولى رعاية شؤون الحرمين الشريفين , فقد أجريت عدة إصلاحات للمسجد النبوي الشريف, ففي عام ١٣٦٥هـ لوحظ تصدع في بعض العقود الشمالية وتفتت في بعض حجارة الأعمدة في تلك الجهة بشكل لافت للنظر, فصدر أمر الملك عبد العزيز بعد دراسة المشروع بإجراء العمارة والتوسعة للمسجد وصرف ما يحتاجه المشروع من نفقات دون قيدٍ أو شرط مع توسيع الطرق حوله .

وأعلن الملك عبد العزيز في خطاب رسمي عام ١٣٦٨ هـ عزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف والبدء بالمشروع, وفي

عام ١٣٧٠ هـ بدأت أعمال الهدم للمباني المجاورة للمسجد النبوي الشريف.

وفي ربيع الأول ١٣٧٤هـ احتفل بوضع حجر الأساس للمشروع بحضور ممثلين عن عدد من الدول الإسلامية , ونظراً لأن عمارة السلطان عبد المجيد كانت في أحسن حال، فضلاً عما تتسم به من جمال و إتقان، فقد تقرر الإبقاء على قسم كبير منها، واتجهت التوسعة إلى شمال و شرق و غرب المسجد الشريف. وانتهت العمارة والتوسعة في سنة ١٣٧٥ هـ في عهد جلالة الملك سعود - رحمه الله - وكانت العمارة قوية جميلة رائعة بالأسمنت المسلح، ونتج عن هذه التوسعة أن أضيف إلى مسطح المسجد ٦٠٣٣ مترا مربعاً، واحتفظ بالقسم القبلي من العمارة الجيدية كما هو , وهو ما كان صالحاً للبقاء، وبذلك أصبح مجمل العمارة السعودية ١٢٢٧١ متراً مربعاً.

وأقيمت التوسعة كمبنى هيكلي من الخرسانة المسلحة، عبارة عن أعمدة تحمل عقوداً مدببة، وقسم السقف إلى مسطحات مربعة شكلت على نمط الأسقف الخشبية وزخرفت بأشكال نباتية، وعملت الأعمدة المستديرة تيجان من البرنز وزخرفت أيضاً، أما المآذن فقد بلغ ارتفاعها ٧٢ مترا تتكون كل واحدة من أربعة طوابق تناسقت في شكلها مع المنائر القديمة للمسجد، كما حليت جدران المسجد بنوافذ جميلة، وجعل للمسجد صحنان مفصولان برواق بدلا من واحد , وتمت تغطية أرضية المسجد بالرخام، وأصبح للمسجد النبوي الشريف عشرة أبواب.

التوسعة الثانية

في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - ونظراً لتزايد الأعداد الوافدة للمسجد النبوي، خاصة في موسم الحج، نتيجة لسهولة المواصلات والتنقل، والراحة التي يلقاها الحاج والزائر في هذه البلاد الطاهرة، حيث وفرت له الحكومة السعودية كل ما يحتاجه من أمن واستقرار ومتطلبات أساسية , بما جعل أمر توسعة المسجد النبوي الشريف أمراً ضرورياً حتى يستوعب هذه الأعداد المتزايدة، فأصدر الملك فيصل رحمه الله أمره بتوسعة المسجد النبوي الشريف. وكانت هذه التوسعة من الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف فقط.

وتمثلت التوسعة في إضافة ٣٥٫٠٠٠ متر مربع إلى أرض المسجد النبوي الشريف , ولم تتناول عمارة المسجد نفسها، بل جهزت تلك المساحة لإقامة مصلىً كبير مظلل، يتسع لعدد من المصلين يماثل عددهم داخل المسجد , ثم أضيفت مساحة ٥٥٥٠ مترا مربعا وظللت كذلك , مما أتاح المجال لاستيعاب أعداد أكثر من المصلين وكان ذلك سنة ١٣٩٥ هـ .

التوسعة الثالثة

في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - حصل حريق في سوق القماشة سنة ١٣٩٧ هـ وهو في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوي الشريف , وتمت إزالة المنطقة وتسوية أرضيتها، وتعويض أصحاب الدور والعقار، وتمت إضافتها لمساحة المسجد , وبلغت المساحة ٤٣٠٠٠ متر مربع وهو ميدان فسيح مظلل , وأضيف إلى أرض المسجد النبوي ولم تتناول عمارة المسجد . وقد تم تخصيص جزء منها مواقف للسيارات.

التوسعة الرابعة

في عهد الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - أمر بإجراء

دراسات لتوسعة كبرى للمسجد النبوي ، وكان دافعه إلى ذلك كله أن يكون للحرمين الشريفين قيمة متوازية كما لهما القيمة الروحية العظمى لدى المسلمين في كل مكان في أرجاء العالم الإسلامي ، وفي سنة ١٤٠٥ هـ تم وضع حجر الأساس لمشروع التوسعة للمسجد.

وتضمن مشروع التوسعة وعمارته إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد الحالي يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها ٨٢٫٠٠٠ متر مربع يستوعب ١٦٧ ألف مصلٍ ، وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد النبوي الشريف ٩٨٥٠٠ متر مربع. كما أن سطح التوسعة تم تغطيته بالرخام والمقدرة مساحته بـ ٦٧٠٠٠ متر مربع ليستوعب ٩٠ ألف مصلٍ. وبذلك يكون استيعاب المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة أكثر من ٢٥٧٫٠٠٠ مصلٍ ضمن مساحة إجمالية تبلغ ١٦٥٫٥٠٠ متر مربع.

وتضمنت أعمال التوسعة إنشاء دور سفلي (بدروم) بمساحة الدور الأرضي للتوسعة وذلك لاستيعاب تجهيزات التكييف والتبريد والخدمات الأخرى , ويشتمل المشروع كذلك على إحاطة المسجد النبوي الشريف بساحات تبلغ مساحاتها ٢٣ ألف متر مربع تغطى أرضيتها بالرخام والجرانيت وفق أشكال هندسية بطرز إسلامية متعددة جميلة. خصص منها ١٣٥٫٠٠٠ متر مربع للصلاة تستوعب ٢٥٠ ألف مصلٍ. ويمكن أن يزيد عدد المصلين إلى ٤٠٠ ألف مصلٍ في حالة استخدام كامل مساحة الساحات المحيطة بالحرم النبوي الشريف، مما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد والساحات المحيطة به تزيد عن ٦٥٠ ألف مصلٍ لتصل إلى مليون مصلٍ في أوقات الذروة.

وتضم هذه الساحات مداخل للمواضئ و أماكن لاستراحة الزوار تتصل بمواقف السيارات التي تتواجد في دورين تحت الأرض. هذه الساحات مخصصة للمشاة فقط وتضاء بوحدات إضاءة خاصة مثبتة على مائة وعشرين عموداً رخامياً.

أما الحصوات المكشوفة التي تقع بين المسجد القديم والتوسعة السعودية الأولى فقد تم إقامة اثنتي عشرة مظلة ضخمة بنفس ارتفاع السقف تظلل كل منها مساحة ٣٠٦ أمتار مربعة يتم فتحها و غلقها أوتوماتيكياً وذلك لحماية المصلين من وهج الشمس و مياه الأمطار والاستفادة من الجو الطبيعي حينما تسمح الظروف المناخية بذلك.

التوسعة الخامسة

في عهد الملك عبد الله بن عبدالعزيز - رحمه الله - تم تدشين توسعة جديدة للمسجد النبوي الشريف ، إلى جانب مشروع مظلات المسجد النبوي التي أمر بها - رحمه الله - وهي من المشاريع العملاقة ، حيث جاء التوجيه بتصنيعها وتركيبها على أعمدة ساحات المسجد النبوي الشريف التي يصل عددها إلى ٢٥٠ مظلة، تغطي هذه المظلات مساحة ١٤٣ ألف متر مربع من الساحات المحيطة بالمسجد من جهاته الأربع يصلي تحت الواحدة منها ما يزيد على ٨٠٠ مصل، يضاف إلى ذلك تظليل ستة مسارات في الجهة الجنوبية يسير تحتها الزوار والمصلون، وهذه المظلات صنعت خصيصا لساحات المسجد النبوي على أحدث تقنية وبأعلى ما يمكن من الجودة والإتقان .

وقد خضعت لتجارب في بلد التصنيع واستفيد من التجربة في المظلات التي قبلها التي تعمل بحمد الله بكفاءة جيدة منذ أن انتهت التوسعة، ومع ذلك فإن المظلات الجديدة قد طورت ودخلت عليها تحسينات في شكلها ومادتها ومساحتها، وصممت بارتفاعين مختلفين بحيث تعلو

الواحدة الأخرى على شكل مجموعات لتكون متداخلة فيما بينها يبلغ ارتفاع الواحدة ١٤ مترا و٤٠ سنتميترا، والأخرى ارتفاع ١٥ مترا و٣٠ سنتميترا ويتساوى ارتفاع جميع المظلات في حالة الإغلاق بارتفاع ٢١ مترا و٧٠ سنتميترا.

وشهدت المدينة المنورة أواخر عام ١٤٣٣هـ أكبر توسعة في تاريخ المسجد النبوي الشريف تمثلت في وضع الملك عبدالله بن عبد العزيز - رحمه الله - حجر الأساس لها لتصل طاقته الاستيعابية بموجبها إلى مليوني مصلٍ مع نهاية أعمال المشروع بمشيئة الله تعالى.

ويؤدي المصلون صلاتهم تحت هذه المظلات التي تقيهم حرارة الشمس أثناء الصلاة كما تحجب عنهم الماء إذا نزل المطر فيسلمون من مخاطر الانزلاق والسقوط ويحصل لهم الأمان والاطمئنان في ذهابهم وإيابهم إلى المسجد النبوي.

التوسعة الكبرى

وبعد وفاة الملك عبدالله بن عبد العزيز رحمه الله، واصل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ المسيرة في خدمة الحرمين الشريفين، إذ أكد ـ حفظة الله ـ أهمية الحرص على متابعة العمل في مشروع التوسعة الكبرى للمسجد النبوي والمشروعات المرتبطة بها التي تصب جميعها في خدمة الإسلام والمسلمين من شتى أرجاء العالم، وكذلك خدمة أهالي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وزوارها.

ويكمن اهتمام قادة هذه البلاد في خدمة الحرمين الشريفين وتطوير بنائهما وتوسعتهما وتوفير جميع الخدمات في المشاعر المقدسة ليؤدى ضيوف الرحمن القادمون إلى المملكة العربية السعودية من مشارق الأرض ومغاربها الركن الخامس من أركان الإسلام وهو حج بيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في يسر وسهولة .

التوسعات عبر التاريخ

يعد المسجد النبوي ثاني مسجد بناه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام في السنة الأولى من الهجرة , وكانت أرض المسجد مربداً (مكاناً لتجفيف التمر) لغلامين يتيمين اسمهما «سهل وسهيل».

واختط الرسول الكريم أرض المسجد فجعل طوله ٥٠ متراً وعرضه ٤٩ متراً وجعل القبلة إلى بيت المقدس، وحفر أساسه وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوع النخل وجعل له ثلاثة أبواب , باب في مؤخرة المسجد وكان يقال له باب عاتكة أو باب الرحمة وباب جبريل وهو الذي يدخل منه الرسول، وجعل في مؤخرة المسجد مكاناً مظللاً يعرف «بالصفة»، وهو المكان الذي كان يأوي إليه الغرباء والمساكين.

ولم يسقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل المسجد، وكان إذا نزل المطر يسيل مختلطاً بطين السقف على المصلين، ولما طلبوا من النبي أن يزيد الطين على سقفه , رفض وقال: «لا، عريش كعريش موسى» , ولم يكن المسجد مفروشاً في بداية أمره ولكنه فرش بالحصى بعد ذلك في السنة الثالثة من الهجرة , وعندما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة , حدث تغيير في المسجد , إذ حوّلت الصفّة من الجنوب إلى شمال المسجد , وأغلق الباب الذي في مؤخرته وفتح باب جديد في شماله، بعد الزيادة النبوية الشريفة .

توسعة الفاروق

تمت توسعة المسجد النبوي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ١٧ هـ , إذ لم يزد الخليفة أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - في عهده بالمسجد لانشغاله بحروب الردة، ولكن في عهد الخطاب ضاق المسجد بالمصلين لكثرة الناس , فقام - رضي الله عنه - بشراء الدور التي حول المسجد النبوي الشريف وأدخلها ضمن المسجد، وكانت توسعته من الجهة الشمالية والجنوبية والغربية، وبذلك زاد المسجد من ناحية الغرب عشرين ذراعاً , ومن الجهة الجنوبية (القبلة) عشرة أذرع، ومن الجهة الشمالية ثلاثين ذراعاً , غير أنه لم يزد من جهة الشرق لوجود حجرات أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن أجمعين - فأصبح طول المسجد ١٤٠ ذراعاً من الشمال إلى الجنوب، و ١٢٠ ذراعاً من الشرق إلى الغرب.

وكان بناؤه - رضي الله عنه - مثل بناء النبي - صلى الله عليه وسلم - فكانت جدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخيل وسقفه من الجريد بارتفاع ١١ ذراعاً، وقد فرشه بالحصباء التي أحضرت من العقيق ,وجعل له سترة بارتفاع ذراعين أو ثلاثة , وتقدر هذه الزيادة بحوالي ١١٠٠ متر مربع , وجعل للمسجد ٦ أبواب، اثنان من الجهة الشرقية , واثنان من الجهة الغربية , واثنان من الجهة الشمالية.

توسعة عثمان

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان - رضي الله عنه - سنة ٢٩ هـ ضاق المسجد بالمصلين فشكوا إليه ذلك فشاور أهل الرأي من الصحابة في توسعة المسجد النبوي الشريف فاستحسنوا ذلك ووافقوه الرأي فبدأ الخليفة عثمان بتوسعة المسجد، فزاد من جهة القبلة (الجنوب) عشرة أذرع، ومن جهة المغرب ١٠ أذرع ومن الجهة الشمالية ٢٠ ذراعاً. ولم يوسعه من الجهة الشرقية وبقى كما كان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوجود بيوت أمهات المؤمنين , وأصبح طوله من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ ذراعا ومن الشرق إلى الغرب ١٣٠ ذراعا , وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٤٩٦ متراً مربعاً.

واعتنى - رضي الله عنه - ببنائه عناية كبيرة، حيث بني جداره من الحجارة المنقوشة والجص، وجعل أعمدته

من الحجارة المنقورة وبداخلها قضبان من الحديد مثبتة بالرصاص، وسقفه بخشب الساج ، ولم يزد في أبواب المسجد النبوي الشريف، بل بقيت كما كانت ستة أبواب، بابان من الجهة الشمالية، وبابان من الجهة الغربية، وبابان من الجهة الشرقية.

التوسعة الأموية

بقي المسجد النبوي على ما هو عليه بعد زيادة الخليفة عثمان بن عفان وحتى عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ دون أي زيادة، فكتب الوليد إلى واليه على المدينة عمر بن عبدالعزيز (٨٦ - ٩٣ هـ) يأمره بشراء الدور التي حول المسجد النبوي الشريف لضمها إلى التوسعة، كما أمره أن يدخل حجرات أمهات المؤمنين في التوسعة، فوسع المسجد النبوي وأدخل فيه قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكانت زيادة الوليد من ثلاث جهات، وهي الشرقية والشمالية والغربية ، وأصبح طول الجدار الجنوبي ٨٤ مترا والجدار الشمالي ٦٨ مترا والغربي ١٠٠ متر ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٢٣٦٩ متراً مربعاً.

وشهدت توسعة الوليد بن عبدالملك لأول مرة بالمسجد النبوي الشريف بناء المنارات ، حيث عمل للمسجد أربع منارات في كل ركن منارة، وعملت شرفات في سطح المسجد، وكذلك عمل محراب مجوف لأول مرة ، حيث لم يكن قبل ذلك المحراب مجوفا.

ولم تحدث أي توسعات في المسجد النبوي الشريف بعد توسعة الوليد ولكن كانت هناك بعض الإصلاحات والترميمات فقط .

العهد العباسي

عندما زار الخليفة المهدي المدينة المنورة في حجه سنة ١٦٠ هـ، أمر عامله على المدينة جعفر بن سليمان بتوسعة المسجد النبوي الشريف ,وقد دامت مدة التوسعة خمس سنوات. وكانت توسعته من الجهة الشمالية فقط، وكانت الزيادة بنحو ١٠٠ ذراع، فأصبح طول المسجد ٣٠٠ ذراع وعرضه ٨٠ ذراعاً، وعمّره وزخرفه بالفسيفساء وأعمدة الحديد في سواريه ، وتقدر هذه الزيادة بحوالي ٢٤٥ متراً مربعاً.

وفي سنة ٦٥٤هـ احترق المسجد النبوي الشريف ، فأسهم في عمارته عدد من الخلفاء والقادة المسلمين، وكان أوّل من أسهم في ذلك آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله فأرسل من بغداد المؤن والصناع و بدئ في العمل سنة ٦٥٥ هـ، ثم انتهت الخلافة العباسية بسقوط بغداد في أيدي التتار , بعدها تبارى ملوك وقادة المسلمين في عمارة المسجد النبوي الشريف.

اهتمام السلاطين

عندما شب الحريق الثاني بالمسجد النبوي الشريف سنة ٨٨٦ هـ, استحوذ الحريق على أجزاء كبيرة من سقف المسجد فوصل خبره للسلطان قايتباي حاكم مصر فأرسل المؤن و العمال والمواد فعمره وتم تسقيفه سنة ٨٨٨ هـ . وبني للمصلى النبوي محراب كما بني المحراب العثماني في الزيادة القبلية، وعند بناء القبة الخضراء على الحجرة النبوية الشريفة التي دفن فيها - صلى الله عليه وسلم - ظهر ضيق جهة الشرق فخرجوا بالجدار الشرقي بنحو ذراعين و ربع ذراع فيما حاذى ذلك، وتمت العمارة سنة ٨٩٠ هـ , وتعد هذه التوسعة هي آخر توسعة جرت إلى العهد العثماني والعهد السعودي، وتقدر هذه التوسعة بحوالي ١٢٠ متراً مربعاً.

ولم يطرأ على المسجد النبوي الشريف أي تغيير منذ عمارة السلطان قايتباي لمدة ٣٨٧ سنة ولكن خلال هذه المدة تم عمل الكثير من الإصلاحات والترميمات بمنائر وأبواب المسجد، واستبدال الأهلة التي تعلو المنائر والقبة، وترميم جدران المسجد والكثير من أعمال الإصلاحات اللازمة، ولكن لم يكن هناك هدم كامل وبناء إلا في عهد السلطان عبد المجيد .

العهد العثماني

وفي سنة ١٢٦٥ هـ أرسل الخليفة العثماني عبد المجيد الثاني الصناع والمهندسين والعمال والمؤن وكل ما يلزم لإعادة تعمير وتوسعة المسجد بأكمله , فبدأت العمارة لكامل المسجد هـ حيث استغرقت العمارة نحو ١٣ سنة , وكانت العمارة من الحجر الأحمر من جبل غرب الجماوات بذي الحليفة (والجبل معروف حالياً بجبل الحرم وبه آثار تدل على ما أخذ من أحجار للمسجد النبوي الشريف)، حيث استخدمت حجارته لبناء الأعمدة، أما الجدران فكان من حجر البازلت الأسود.

وكانت أضخم العمارات التي جرت في المسجد النبوي الشريف و أتقنها وأجملها حتى ذلك العهد وقد بقي منها بعد العمارة السعودية الجزء القبلي ويبدو هذا الجزء حتى الآن قوياً متماسكاً , وأكثر ما يميز هذه العمارة القباب التي حلت بدلاً من السقف الخشبي , حيث سُقّف المسجد بالقباب كاملاً , كما زينت بطون هذه القباب بصور طبيعية جذابة كما كتبت في جدار المسجد القبلي سور من القرآن الكريم و أسماء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بخط جميل بقلم الثلث , وذهبت الحروف فكانت زخرفة إسلامية بديعة كما أن أبواب المسجد بنيت بشكل جميل وجذاب .

وتم بناء أعمدة السقف القبلي في موضع جذوع النخل التي كانت في عهد الرسول، وزاد السلطان عبد المجيد الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم والمستودعات من الجهة الشمالية، كما زاد في الجهة الشرقية نحو خمسة أذرع وربع من المنارة الرئيسية إلى ما يلي باب جبريل لضيق المسجد في ذلك الموضع , فيما تقدر تلك التوسعة بحوالي ١٢٩٣ متراً مربعاً.

قيمة النهي عن

التبذير والإسراف

وأثرها في التنمية

د. أحمد محمود عيساوي

باحث وأكاديمي جزائري

تبذل الحكومات والدول الجهود المادية والأدبية والتشريعية والقانونية الجبارة للتصدي لظاهرة التخلف، وتُخصص لأجل ذلك الهدف الاعتمادات المالية المتنوعة، وتضع الخطط والمشاريع والدراسات المُستقاة من خلاصة وتجارب الخبرات العالمية في سبيل تحقيق نسبة مرضيةٍ من النمو السنوي السريع، وبلوغ مشارف النهضة والدخول في مرحلة التقدم، والخروج من معوقات وآثار وتبعات التخلف والانحطاط. وتُتبِعُ ذلك كله بعمليات تقييمية في التنفيذ والمتابعة والمراقبة وغيرها . وتجد نفسها أخيرا وبعد انتهاء مدة إنجاز المشروع أو المخطط أنها لم تحقق ما كانت تصبو إليه من نسبة نمو ورقي ونهضة وتقدم، فتستدعي لأجل ذلك أكبر الخبراء العالميين، بَلْ تلجأ إلى أرقى مراكز البحث والدراسات والخبرة العالمية لتعرف أسباب الفشل في مشاريعها وخططها، وضياع الاعتمادات المالية المُخصصة لذلك، فتكون نتائج تلك الدراسات منصبة على تحليل الجانب المادي من المشروع، وهو عنصر مهم وضروري في عملية التحليل، ولكنه يعادل نصف الدراسة فقط، مهملةً في الوقت نفسه - للأسف- نصف عناصر الدراسة المُمثلة في الجانب الديني والقيمي والأخلاقي، ودوره في عملية التنمية الشاملة، وفي صناعة إنسان متحضر وصياغة جماعة وأسرة وفرد متميز. فهل يكفي وضع الخطط وتخصيص الاعتمادات المالية لتحقيق التنمية؟ وهل يمكن الاعتماد فقط على الجانب المادي لتحقيق التنمية الشاملة؟ وهل من الصواب والمعقول إهمال أو نسيان أو تجاهل أو استبعاد العامل الديني أو القيمي أو الأخلاقي في عملية التنمية الشاملة؟ وهل الاقتصار على العامل المادي البحت كفيل بتحقيق التنمية لوحده؟ وهل حقق العرب والمسلمون باستبعادهم العامل الديني منذ قرن إلى اليوم نهضة حقيقية غير تابعة أو معتمدة على هيمنة الغالب الوقتي؟

وفي سبيل الإجابة على تلك الفرضيات، فقد قدمنا خطوات منهجية وتحليلية، ولعلنا نقول في بداية إجابتنا: إنه بإمكاننا صناعة نهضة مادية وبلوغ مستويات من النمو والتقدم العمراني والمادي الذي يستجيب لمتطلبات الغريزة ولحاجات الفرد، ولكنها في حقيقتها نهضة عرجاء وغير مكتملة الأبعاد، لأنها عالجت وتناولت نصف العملية التنموية فقط، وانحصرت في تنمية الجانب المادي منها، وبمقابل هذه الرؤية المبتسرة لعملية التنمية نجيب أيضا قائلين: إنه بإمكاننا تحقيق نسبة نمو مقبولة وصحيحة بتنمية الجانب الديني والقيمي والأخلاقي في الفرد والجماعة والأسرة، دون إهمال - طبعا- لأهمية الجانب المادي في العملية، الذي سيُحسن من مستوى الفرد السوي ومن درجات استغلاله واستثماره الواعي في حال تلقيه تربية وتكوينا صحيحا، فكيف يكون ذلك؟

إن تطبيق قيمة دينية أو أخلاقية واحدة على نطاق الفرد والجماعة والأسرة والمجتمع تعادل ملايين الدينارات، أو توفر ملايين الدينارات ، أو تجلب ملايين الدينارات، أو تُنجح مشروعا بقليل من الدينارات. وسنضرب أمثلة من خلاصة دراستنا التحليلية الرياضية عن فاعلية وجدوى عالم القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية لبلوغ نسبة مرضيةٍ من النمو السريع والفعال، وتخليص الاقتصاد من معوقات التعثر والتضخم والتبعية، ولتحقيق أهداف النهضة الحقيقية .

وقبل هذا نُعَرِّفَ ماهية القيمة والتنمية، فما هما؟

القيمة هي (مجموعة من المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة لتوظيف إمكانياته، وتتجسد في القيم من خلال الاهتمامات

أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) .ولا تعدو أن تكون تلك القوانين والمقاييس التي تنشأ في جماعةٍ ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا. فهي مقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها .

وهي معيار وميزان ومستند مرجعي، له حكم الناموس القاطع في حياة الجماعة، وهي حسب الدراسات الإسلامية تتركز على خمس قيم أساسية هي: [١- القيم العقدية الروحية، ٢- القيم الوجدانية النفسية والانفعالية، ٣- القيم الفكرية والعقلية، ٤- القيم الجمالية والفنية والرمزية، ٥- القيم الأخلاقية والسلوكية] وذلك عبر منظومات وأنساق تواصلية خاصة ولصيقة جدا بالبناء الأساسي لآليات الاتصال الشرعي للفرد وشبكة تواصله الجمعي والكياني، وتبدو سائر تمظهراتها وتطبيقاتها في سائر الجوانب الأخرى.

أما التنمية فهي: (..عملية إحداث مجموعة من التغييرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطوير الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده) .

فهي ((عملية تغيير اجتماعي متعددة الجوانب غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية، والسير وذلك وفق نظم تعددية على شاكلة الدول المتقدمة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي والبشري)) . ومجالاتها الرئيسية، هي:

١ - التنمية الاقتصادية ومجالها: الاستثمارات واستغلال الموارد.

٢ - التنمية الاجتماعية ومجالها: التعليم، الصحة ، الترفيه، الثقافة.

٣ - التنمية العمرانية ومجالها: مواقع الاستثمارات والخدمات.

وتُعالج مسألة التنمية ضمن مواضيع الاقتصاد الإسلامي والاستخلاف في الأموال والزكاة والصدقات والحبس والأوقاف، وهي مختلفة تمام الاختلاف عن المدلول الاصطلاحي المغاير (الإلحادي، العلماني) ، الذي يعتبر التنمية عملية مربوطة بالواقع المادي المحسوس وأرقامه ومعطياته ومؤشراته، ولا علاقة له بالرؤية المرجعية الإسلامية، التي تربط عملية التنمية بالانضباط بالشريعة وبقيم الخير والأجر والبركة والحلال .

ونتساءل الآن - وبعد أن تبينا مفهومي القيمة والتنمية- قائلين: أين هو دور القيمة في عملية التنمية الشاملة؟ وهل هذا الاتجاه يمتلك قدرا من الصوابية والمردودية والنفع، أم أنه مجرد دعاية وتحشيد معنوي فقط؟

وهو ما سنتبينه بلغة الأرقام والحساب.

* دور القيمة الدينية في عملية التنمية الشاملة:ولنا أن نتساءل بكل موضوعية وحيادية قائلين: هل للقيمة دور في هاته العملية؟ وكيف؟ وما هي عائداتها النهضوية والمالية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية على الأمة؟ وهل يمكننا استثمار عالم القيم في بناء نهضة حقيقية وواقعية ملموسة؟ ومن هنا ننطلق لتناول بعض القيم وتبين عائداتها في الحياة الواقعية من خلال بعض الدراسات والأبحاث الميدانية التي أشرفتُ عليها الأجهزة المالية الرسمية المختصة لقطر من الأقطار الإسلامية البترولية يبلغ تعداد سكانه أربعين مليون نسمة أثناء إعدادها لميزانية سنة ٢٠١٦م ١٤٣٧هـ ، وبينت الدراسة حجم الإنفاق وإهدار المال العام الذي يُبدد في التبذير والإسراف والتفاخر والتنافس في عالم الإنفاق.. من منتجات ومواد وأجهزة مستوردة بالعملة الصعبة، الأمر الذي يرفع من فاتورة الاستيراد التي تقارب عشرات المليارات من الدولارات، ولنتتبع نتائج تلك الدراسة.

١ - قيمة النهي عن التبذير والإسراف:ولا نذهب بعيدا في الشرح والتحليل والتأصيل الشرعي عن هذه القيمة العظيمة في الإسلام، فهي من أصول وقواعد هذا الدين في سائر ميادينه (العقدية، والتعبدية، المعاملاتية، الأدبية والأخلاقية)، فالتوسط هو الأصل بين الإفراط والتفريط، بل نبسط التعاليم الإسلامية بقيمها الحقيقية وبشكل مباشر، فقيمة الاقتصاد والحرص والحفاظ على نعم الله من الضياع الواردة في قوله تعالى: (.. وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)) (الإسراء) . هي قيم لو طُبقت بدقة وصرامة شرعية وخوف وورع من الله سبحانه وتعالى من قبل الأفراد والأسر والجماعات والمجتمعات الحية والمتحضرة الواعية لعدلت مليارات الدولارات، وقد جاء في مشروع الميزانية تقليص فاتورة استيراد الحبوب التي تكلف تلك الحكومة مبالغ تفوق المليار دولار في السنة، كما هو حال الكثير من الأقطار العربية والإسلامية في استيراد مادة الأرز والذرة ونحوها من المواد الأساسية كـ (الزيت، السكر، الشاي، القهوة، التوابل، اللحوم، الحليب ومشتقاته، المعجنات، السمن..) والتي يكون مصيرها - للأسف - سلات وحاويات القمامة ومصانع الاسترجاع والتحويل وإعادة التأهيل (الرسكلة).

ففي تلك الدراسة الميدانية تبين أن عشرة ملايين أسرة ترمي - للأسف- في القمامة مساء كل يوم خبزة وزنها (٣٠٠) غرام من الدقيق المعالج الصالحة للأكل، أي ما يعادل (٣٠٠٠) طن من القمح المستورد أو المنتج محليا كل سنة، كما تبذر وترمي من استهلاك الخبز كل يوم ما يعادل خبزتين من اللباب الذي يُرمى في القمامة، أي ما يعادل (٦٠٠٠) طن سنويا، أي ما مجموعه (١٠٠٠٠) طن من القمح، وإذا كان سعر الواحد طن من القمح يساوي (٤٠٠) دولار، فثمن ما يبذره الجزائريون يعادل (٤٠٠) مليون دولار في السنة من مادة القمح.

وإذا نظرنا إلى سعر تلك الخبزة الطازجة والصالحة للأكل الحقيقي لوجدناه يعادل (٢٤) ديناراً جزائرياً ، وبلغة الأرقام تبذر تلك الأسر في السنة جراء خبزة واحدة تلقيها في القمامة، وتأنف من أكلها في اليوم الموالي مبلغا قدره (٢٤٠) مليون دينار، ما يعادل بالدولارات (٢٤٠٠) مليون دولار، أي مليارين وأربعمائة مليون دولار.

هذه الخبزة التي عُجنت بأحسن أنواع الدقيق، ومُزجت بماء وملح معقمين دُفعت الأموال الباهظة من أجل توفيرهما في شبكات التوزيع والصنابير، وطُهيت في أفضل وأرقى الأفران الكهربائية، ووزعت وسُوِّقتْ في أرقى المخابز، و عُلفتْ وحُملتْ في أرقى شاحنات النقل، وغيره.. ولم يأكلها ولم يتمتع بطعمها ورقتها الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، على عِظَمِ قدرهم وكرامتهم على الله سبحانه وتعالى، ونأتي نحن اليوم ونرميها في القمامة، فللنظر إلى حجم التبذير والإسراف وبطر النعم الإلهية، التي سنُحرمها يوما إن لم نشكرها، لتوجيهه وتنبيهه سبحانه وتعالى إلى أهمية فضيلة الشكر لقوله تعالى: (وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِيَ لَشَدِيدٌ (٧)) (إبراهيم). ولفعله الكريم صلى الله عليه وسلم لما دخل الدار فرأى كسرة ملقاة فمشى إليها فأخذها فمسحها ثم أكلها، ثم قال: ((يا عائشة أحسني جوار نعم الله فإنها قلَّ ما تزول عن أهل بيت فكادت أن تعود إليهم)) .

ويشير التقرير إلى أساليب الحكومة في الحد من وتيرة التبذير وطرق المراقبة والمتابعة ونحوها، ولكنها كلها غير مجدية من الحد من ظاهرة التبذير، لأنها ظلت حبيسة في المعالجة المادية فقط، حيث ظلت وتيرة التبذير والإسراف في ارتفاع مثير للقلق والتساؤل بالرغم من حملات التوعية والإرشاد والحملات الإعلانية عبر مختلف الصحف والمجلات اليومية وسائر وسائل الإعلان حتى الإلكترونية منها، وتزداد فاتورة الإنفاق بالعملة الصعبة لاعتماد الخطابات الحكومية الرسمية على تقييمات وتصويبات الجانب المادي فقط، وإهمال تأثيرات وسحر الجانب الروحي والوجداني القائم على القيم الدينية والأخلاقية.

ونقول هنا: لو ربينا هذا الفرد النَّهِمِ، وهذه الأسر المُنفلتةِ، وهذا الشعب الأكول والاستهلاكي.. منذ صغره على قيم الإسلام النبيلة وتتبعناه عبر مؤسسات التربية والتعليم والإعلام والثقافة والتكوين والخطاب المسجدي ونحوها من منابر الاتصال والتواصل والتربية.. لوفرنا واقتصدنا من قيمة دينية إسلامية واحدة (النهي عن التبذير والإسراف) مليارات الدولارات، وهذا هو عين التنمية الشاملة، وهو الذي اهتدى إليه (الوعي الإلحادي والعلماني) - للأسف الشديد- بالوعي الغريزي والمصلحي المنفعي الآني، ولم نكد نصل إليه بعدُ، لهشاشة وضعف بِنية مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والدعوة والدعاية والإعلام والدين.. التي لم تستطع تكوين وتأطير وتحضير هذا الفرد ثقافيا، حيث تغيب التعاليم والمعارف وتبقى الثقافة كسلوك بديل ومُعبر عن تأثيرات وتوقيعات تلك التعاليم الدينية الفاضلة.

٢ - قيمة عدم الإسراف في استهلاك الماء والكهرباء والغاز والاتصالات:يحذر الخبراء العالميون اليوم من ارتفاع ظاهرة استهلاك مواد الطاقة من أجل توفير خدمات ومعالجة الماء الصالح للشرب، وصناعة الكهرباء، ونقل الغاز الطبيعي، وتوفير الاتصالات لسكان المدن والقرى والتجمعات السكانية، وهي أرقام فاقت المتوقع العالمي الآني والمستقبلي، وهو الذي تسبب بحدوث ظاهرة الاحتباس الحراري التي يعرفها كوكبنا الأرضي منذ ما يقارب الأربعة عقود، والذي يصدق عليه قول خالق الكون سبحانه وتعالى: (ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَتْ أيدي النَّاسِ لِيُذيقَهُم بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)) (الروم).حيث دعت دول العالم إلى الحد من استهلاك الطاقة منذ أكثر من أربعة عقود عبر عقدها لمجموعة من المؤتمرات العالمية كان آخرها مؤتمر باريس للبيئة سنة ٢٠١٦م، والذي أخذ قرارات حاسمة وملزمة في أفق سنة ٢٠٣٠م، حيث سيحظر استعمال الطاقات التقليدية والاستعاضة عنها بالطاقات البديلة (الماء، الريح، الشمس)، وهو الذي سيسبب إرباكات للسياسات الاقتصادية للدول المتخلفة، ويضعها في موقف لا تحسد عليه ، من حيث سياساتها الاقتصادية والمالية والتنموية وغيرها، ولا فكاك لها إلاّ بالتفعيل القيمي لتعاليم الدين الإسلامي في واقع الحياة والأفراد والناس، وهو الذي سيكون بابا لحل المشكلات الاقتصادية، فكيف يكون ذلك؟

إن ذلك يكون بتفعيل قيم الدين الإسلامي، إذْ من المعلوم من الدين بالضرورة نهي الإسلام بالوحيين المقدسين عن الإسراف والتبذير في الماء ولو في سبيل العبادة نفسها، فقد كان عليه الصلاة والسلام ليغتسل بالصاع من الماء، ويتوضأ

بالمد من الماء، ونهى عن الإسراف فيهما ولو كان الإنسان على بحر ، وكتب الفقه ترتب بـاب المياه والطهارة بعد باب النية، وقد أفاض الفقهاء في تناول أنواعه وقيمته ومكانته الكثير ، وهو الذي تدير له الجماهير المسلمة ظهرها ولا تلتزم به، فيقع جراء ذلك السـلوك المتهور حصول الأزمات التي يستعصي حلها حتى على أغنى الدول، فهل يمكن تفعيل قيم الإسـلام الخالدة من أجل ضمان حياة أفضل؟.

أ- الاقتصـاد فـي الماء: يشـتكي العالم بأسـره من ظاهرة الاحتباس الحراري والاختلال البيئي وندرة المياه وزحف التصحر وفراغ السـدود من الاحتياطي وشـح الآبار من الماء العذب، والتجاء الكثير مـن الدول والحكومات لمحطات تحلية الماء التي تكلـف ملايين الدولارات من أجل تحلية مياه البحر، وتصرف بعض الدول العربية مجتمعة أكثر من خمسـة (٥) مليارات دولار على تحلية المياه، وتبذل الجهود الجبارة من أجل توفير الحد الأدنى من الاسـتهلاك اليومي الذي فاق التوقع، ويقابل هذه الخدمات المكلفة فرد مسـتهتر لا يُدرك تبعات تلك النفقات الباهظة التي تتحملها الحكومات والدول، والتي سـتقتطع فاتورة ذلك الإسـراف من احتياطي الصـرف أو من مداخيل مبيعات النفط، ما يؤخر عملية التنمية الشاملة للكثير من القطاعات الحساسة والضرورية لبناء نهضة وتحقيق تنمية . فلو ربينا هذا الفرد على قيم الإسـلام في اقتصاد نعم الله وأعظمهـا الماء الذي خلق منه كل شـيء حي، لوفرنا ملايين الدولارات، حيـث تحتاج عمليات توفيره إلـى نفقات باهظة، فمعدل ما تنفقـه بعض الدول العربية علـى الفرد العادي الواعي من المياه في السـنة يعـادل حوالي (٣٠٠) دولار، أي ما يعادل (١٢٠) مليون دولار ، فضلا عن مشـاريع حفر الآبار وبناء الحواجز المائية والسدود الكبرى والمتوسطة ونحوها من إصلاح وتجديد للشبكات والمواد الأساسية الخاصة بالتطهير وصناعة الميـاه.. ، التي تقارب ميزانيتها (٥٠٠) مليون دولار سـنويا، ثم تجد الفرد المتخلف لا يبالي ولا ينخرط في المشروع الاجتماعي بوعية وسلوكه الرشـيد، ويتماهى في أنانيته وفردانيته دون معرفـة آثار ونتائج ذلـك، إنه يكلف ملايـين الدولارات.فكل مواطن يصرف فوق حاجته، ويُبذر من الماء ما يعادل (٥) دولارات في السنة، أي ما يعادل (٢٠) مليون دولار في السنة.

ب- الاقتصاد في الكهرباء والغـاز والاتصالات:حصلت طفرة مدنية إنجازية في عالمنـا الأرضي بفعل الاختراعات والمنجزات الماديـة كالكهرباء والغـاز وثورة الاتصالات.. التي شـهدها العالم في العقود الخمسة الماضية، وصار فرد المدنية الحديثة والمعاصـرة لا يسـتطيع العيش بغير الطاقـة الكهربائية، وظلـت وتيرة الاسـتهلاك تزداد سـنة بعد الأخـرى نتيجة ارتفـاع الطلب المحلي والعالمي علـى مثل هذه الخدمات، حتى وصلـت إلى مرحلة تُنذر بالخطر علـى الاحتياطات والمخزونات العالميـة، جراء الاسـتهلاك المفرط والتبذير وعدم الشـعور بالمسـؤولية المادية والأدبية والمعنوية تجاه هـذه الثروات من جهة، ومصير ومستقبل كوكبنا من جهة ثانية، ومستقبل الأجيال اللاحقة أيضا من جهة ثالثة، ولم يعد باسـتطاعة الدول الفقيرة والمتخلفة توفير حاجات الاستهلاك المحلي من الطاقـة، حيث تعرف الكثير من الدول العربية والإسـلامية فترات تقطع الطاقة لسـاعات في اليـوم، وفي مقابل هذا فقـد باتت العديـد من الـدول البترولية تشـهد عمليات استنزاف ثرواتي نتيجة سوء فهم المواطن لسياسات الدعم المتناهية، والتي سـتفضي في نهاية المطاف إلى العجز عن توفير محطات الإنتـاج اللازمة لتوفير طاقة الكهرباء والغاز، وستضعه أمام الأسعار الحقيقية لمواد الطاقة المكلفة جدا، ولن تتمكن الحكومات والدول من حل مشـكلة تبديد وتبذير الطاقة سـوى بالمخرج الديني القيمي، حيث التراث الإسلامي زاخر بالتطبيقات العملية في اقتصاد الطاقة والحفاظ على مـوارد الأمة، فهذا رسـولنا الكريم محمـد صلى الله عليه وسـلم القدوة في الحرص على نعم الله ، وصحابته الكرام رضـوان الله تعالى عليهم أجمعين، وعلى رأسـهم الخلفاء الراشـدون رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا خامس الخلفاء الراشدين (عمر بن عبد العزيز ت ٩٩هـ) يفضل إطفاء المصباح وهو يتحدث عن أموره الشـخصية عند حديثه مع التابعي الجليل (رجاء بن حيوة) .

فحل أزمـة تبذير الطاقة أو التخفيف مـن تكاليفها يكون بتفعيل عالم القيم في الفرد المسلم، وليس لها غير ذلك من حلول سلمية، وفي دراسة ميدانية أجريتها على طلابي سنة ٢٠١٥م ١٤٣٧هـ لمعرفة قيمة إنفاقهم واستهلاكهم لفاتورة الاتصالات الشـهرية التـي فاقـت (٣٠) دولاراً، والتي يذهب الكثير من وحدتها في المعاكسـات وإضاعة الوقت والسهر والتفريط في الواجبات والدراسـة والعبـادة ونحوها.. ويُقدر رقم شبكات الاتصالات في القطر الجزائري بـ (٧) مليارات دولار سـنويا، يضيع معظمها في الفراغ، ولا يختلف الوضع عنها في سائر الأقطار العربية والإسلامية، هذا إن لم يكن أسوأ.

* والخلاصة المؤلمة أنه هكذا تضيع على العرب والمسلمين أموال طائلـة ونحوها من الجهود والسـاعات والأوقـات والمنجزات، التي كان يُفترض تضييعها وتسـخيرها في تحقيق النهضة الشـاملة، ولو ذهبنـا لرصد وتتبع سـائر القطاعات الأخرى لوجدناهـا تئن تحت وطأة اللاوعي واللاجدوى والعدمية، فمتى سـننتبه لمخزوننا الديني والتراثي ونحن نحاول صناعة تنمية شاملة.

إننا لو فَعَّلْنا مؤسسات التربية والتعليم والتكوين والدعاية والإعلام والخطـاب الديني والوطني والثقافـي ونحوه، في الفرد والأسرة والجماعة بشكل صحيح وسليم ومؤثر وفعال لوفرنا مليارات الدنانير، بل مليـارات الدولارات، فهل يمكننا فعل ذلك؟

ظاهرة الهدر الغذائي من منظور أخلاقي

بقلم التجاني بولعوالي

أكاديمي وباحث مقيم في بلجيكا

ورد في أحد تقارير منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة FAO الأخيرة أنه تُهدر سنويا كميات هائلة من الغذاء، تقدر بـ ١,٣ مليار طن، ما يترتب عنه ليس فقط خسائر اقتصادية مذهلة، وإنما إلحاق أضرار جسيمة بالموارد الطبيعية التي يعتمدها الإنسان لسد حاجاته الغذائية، كالمناخ والأرض والمياه والتنوع البيولوجي. يشير التقرير إلى أن الغذاء غير المستهلك يستنزف سنوياً من المياه ما يضاهي كمية التدفق السنوي لنهر الفولغا في روسيا، ويسبب نحو ٣,٣ مليار طن من غازات الاحتباس الحراري في فضاء الكرة الأرضية. علاوة على ذلك، فإن هذا التبذير الفاحش للغذاء يكلف اقتصاديات العالم خسارة مالية تبلغ ٧٥٠ مليار دولار سنويا، في الوقت الذي يعاني فيه يومياً ٨٧٠ مليون شخص من المجاعة[1].

بهذا التشخيص الواقعي يدق تقرير المنظمة الدولية ناقوس الخطر، وهو يتعرض لمسألةٍ إشكالية تضع الإنسانية على المحك، وتميط اللثام عن تناقضات عميقة يشهدها حاضر الإنسان؛ تناقضات يعجز اللبيب عن استيعاب أسرارها وتفكيك تداعياتها، حيث العالم تتجاذبه ثنائيات متنافرة ومتضادة؛ كالمعرفة والجهل، الازدهار والتخلف، الغنى والفقر، العدالة والجور، وغير ذلك، وتوجهه أقطاب متعارضة ومتصارعة محكومة بما هو نفعي وإيديولوجي. وما هذه الأرقام والأخطار التي تكشف عنها اليوم منظمة الفاو إلا إحدى النتائج المنطقية والواقعية للوضعية السياسية المزرية التي آل إليها العالم، وهي وضعية يحكمها منطق السوق وعولمة الاقتصاد والنظام العالمي الجديد، ولا يمكن فهم خفاياها إلا في ضوء هذه المحددات والمفاهيم والحقائق.

ولا شك أن هذا التقرير وما يحمله من أرقام مثيرة من شأنه أن يشكل مادة إعلامية دسمة للعديد من وسائل الإعلام، يختلف استيعابها من قارئ إلى آخر، فتتعدد التفسيرات بخصوص ذلك، وتنقسم إلى من يقرأ ذلك من منظور اقتصادي محض، ومن يربطه بطبيعة السياسات المعتمدة، ومن يركز على ما هو بيئي، ومن يستحضر الرؤية الدينية والأخلاقية، ومن يوفق بين هذا وذاك.

المنظور الاقتصادي:

إن تحليل ظاهرة «الهدر الغذائي» لا يمكن أن يتم مفصولاً عن العامل الاقتصادي، فالإحصائيات تشير بشكل صارخ إلى مدى الضرر الذي يلحق اقتصاديات العالم من جراء هذه الظاهرة، إذ تخسر الإنسانية كل سنة مليارات الدولارات (٧٥٠ مليار دولار)، فإذا ما اقتصرنا على المملكة الهولندية على سبيل المثال لا الحصر نجد أن الهولنديين، حسب تقرير لوزارة الإسكان والتخطيط العمراني والبيئة في هولندا، يهدرون على الأقل ٢,٤ مليار يورو من الغذاء سنويا، بما يعادل حوالي ٤٠٠ يورو لكل أسرة، حيث يبذر كل شخص ما يقارب خمسين كيلوغراما من الغذاء غير المستهلك، وهذا يعني أن ٢٠٪ من الأكل مصيره النفايات[2]. وتتحدد أهم المواد الغذائية المعرضة للإهدار في الحليب ومشتقاته، الخبز، الأكل الجاهز، الخضراوات، الفواكه، اللحوم، الزيوت، الدهون، الأسماك وغيرها.

ومَردُّ هدر المستهلِك للغذاء إلى جملة من الأسباب مثل: ميل الإنسان المعاصر إلى شراء كميات كبيرة من الأطعمة، طهي الكثير من الأكل للوجبة الواحدة، فساد الغذاء جراء حفظه لمدة أطول، فقدان الطعام لجودته بسبب نقله غير السليم إلى المنزل، عدم الرغبة في أكل الطعام المتبقي، الادخار العشوائي

للطعام في الثلاجات والمخازن، وغير ذلك من الأسباب.
وما يلفت النظر حقاً أن هذه الأسباب عادة ما تقترن بسوء الاختيار وتفشي ثقافة الاستهلاك وغياب الوعي. وفيما يتعلق بغياب الوعي فقد توصل البرنامج التلفزيوني التوعوي «تذوق النفايات»، الذي بثته القناة الهولندية الثانية في أكتوبر ٢٠١٢ إلى ثلاثة استنتاجات جوهرية: أولها أنه كلما تقدم الإنسان في السن، اقتصد أكثر في طريقة تعامله مع الأكل، وثانيها أن الرجال أقل من النساء ميلاً إلى هدر الطعام ورميه، وثالثها أن ٧١٪ من المستهلكين يفكرون كثيراً في التخلص من الغذاء غير المستعمل[٣].
على هذا الأساس، يتبدَّى أن ظاهرة هدر الغذاء التي يستكرهها الدين والأخلاق ولا يقبلها العقل والأعراف، تنطوي في حد ذاتها على حلول ناجعة للعديد من التحديات والمعضلات التي تعاني منها الشعوب الفقيرة والجائعة التي يقارب تعدادها المليار نسمة. ألا يمكن إذن، سد رمق مئات الملايين من فقراء الجنوب بما يُلقيه أغنياءُ الشمال ليس من بقايا الأطعمة، وإنما من مواد غذائية غير مستهلكة؟ إن حل هذا الإشكال ذي الطابع الاقتصادي يقتضي أولاً وقبل كل شيء إرادةً سياسية حقيقية وجريئة.

المنظور السياسي:

حسب ما ورد في تقرير وزارة الإسكان الهولندية السابق، فإن الدولة تسعى إلى حدود ٢٠١٥ نحو تقليص نسبة ٢٠٪ من الغذاء المهدر، الذي يشكل ضغوطاً قوية على البيئة[٤]. وفي هذا الصدد تندرج أيضا حملة منظمة الأمم المتحدة التي تحمل شعار: فكّر، كُلْ، وَفِّرْ[٥]. ويُقصد من خلالها ترسيخ قيم أخلاقية بديلة للتعامل مع الغذاء، تحثُّ على عقلنة الاستعمال وترشيد الاستهلاك وتوفير الموارد. غير أن مثل هذه الخطوات تتخذ طابعا تطوعيا يفتقد في الغالب الأعم إلى القرارات السياسية التي تُلزم السلطات والحكومات على تبني إجراءات قانونية صارمة بخصوص معضلة الهدر الغذائي، تبدأ من الشركات والمصانع العملاقة، التي تستنزف احتياط المياه، وتلحق الضرر بالأرض، وتلوث المناخ. ويتم ذلك عبر سن قوانين لحماية الثروات الغذائية والطبيعية، وعقلنة ثقافة الاستهلاك، وتخصيص ضرائب لصالح الشرائح المعوزة والفقيرة، هذا على المستوى المحلي أو الجهوي.
أما على الصعيد العالمي، فيُلاحظ أن حصة الأسد من الكميات التي تهدر من الغذاء تتم في الشمال الغني، وأن الدول المتقدمة تهدر ما يقارب ثلث طعام العالم. وتشير آخر الإحصائيات إلى أن الفرد الواحد في هولندا يضيّع سنويا حوالي ٥٠ كيلوغراما من الغذاء غير المستهلك، في حين أن هذه النسبة لا تتجاوز أحد عشر كيلوغراما في دول أفريقيا جنوب الصحراء وجنوب شرق أسيا؛ فلا قياس إذن مع وجود الفارق! والغريب في الأمر، أن المنطقة العربية، حسب إحدى تقارير منظمة الفاو، تهدر ١٦ مليون طن من القمح سنويا، وهي كمية تكفي لإطعام ما يتراوح بين ٧٠ و١٠٠ مليون شخص [٦]. وهو رقم يتجاوز عدد جياع الأمة العربية!
وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أنه في غياب أي إجراءات وقرارات سياسية جادة وصارمة تظل مبادرات الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية حبرا على ورق! لأنه بواسطة القرارات السياسية تتحقق السلطة التنفيذية التي تمكننا من عقلنة هذا القطاع الحيوي، عن طريق مختلف الآليات التربوية والأخلاقية والقانونية والإعلامية.

المنظور البيئي:

يكشف تقرير منظمة الفاو السابق عن أن الغذاء غير المستهلك يستنزف مليارات المكعبات من المياه التي تضاهي التدفق السنوي لنهر الفولغا، ويخلف نحو ٣،٣ مليار طن من غازات الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي. ولعل ظاهرة الاحتباس الحراري تشكل اليوم أخطر التحديات أمام مستقبل الإنسانية، إذ يظل الإنسان عاجزا تجاهها رغم التقدم الهائل الذي تشهده العلوم الطبيعية والفيزيائية والفلكية. ويُرجع خبير البيئة البريطاني نيكولاس ستيرن في بحثه الموسوم بـ: اقتصاديات تغير المناخ تصاعد كمية الاحتباس الحراري إلى الانبعاثات الغازية التي أنتجت في الماضي وتنتج في الحاضر، ويعاني منها الناس عبر جميع أنحاء العالم، وسوف تكون لها آثار كارثية محتملة في المستقبل [٧]. وهذا ما يحيل على ظاهرة التغير المناخي التي تتخذ مظاهر متنوعة، كارتفاع درجة الحرارة، وذوبان الجليد، والاحتباس الحراري. فحسب تقرير الهيئة الحكومية الدولية لتغير المناخ IPCC لعام ٢٠٠١ زاد معدل حرارة سطح الأرض في القرن العشرين بنسبة ٠،٦٪، ويُرجح بأنها الأعلى خلال الألف سنة الماضية. كما أنه لأول مرة في التاريخ يذوب الجليد بشكل كبير، ويرتفع مستوى مياه البحار والمحيطات، وتهطل الأمطار بغزارة في بعض المناطق، ما أدى إلى نشوء ما يعرف بظاهرة النينيو [٨]. ويضيف التقرير أنه منذ سنة ١٧٥٠، وهي السنة الفاصلة بين المرحلة الزراعية والمرحلة الصناعية بدأت الغازات تغزو الغلاف الجوي، كثاني أوكسيد الكربون والميثان التي تركزت منها نسب هائلة في الفضاء منذ سنة ١٧٥٠، لم يشهد مثلها الغلاف الجوي منذ حوالي ٤٢٠ ألف سنة [٩].
إن الكلام على ما هو بيئي لا يمكن أن يكون مفصولا عن مسألة الغذاء، ما دام أن أغلب أنشطة الإنسان، إن لم نقل

كلها، محكومة بإشباع الذات والجسد، ولا يتم ذلك إلا بالأكل والتغذية المستمرة التي تجعل الحياة تنمو وتتجدد وتتطور، غير أن ذلك ينبغي أن ينضبط إلى جملة من القوانين والمحددات والأعراف، ولما ينتفي ذلك تسود الفوضى ويهيمن قانون الغاب، وهذا ما صارت إليه الإنسانية اليوم وهي في عزّ ازدهارها العلمي والتكنولوجي والاقتصادي، إذ تم التركيز على ما هو مادي على حساب ما هو بيئي وأخلاقي، فترتب عن ذلك أن صار كل شيء في حياة الإنسان والمجتمع وفي المحيط والكون يفتقد توازنه الفطري والطبيعي، فنشأت عوائد وظواهر شاذة، وما الهدر الغذائي إلا واحد منها، تُسبّب، بشكل أو بآخر، في ما يعتري المناخ والماء والأرض من تغيرات جذرية تدفع بالإنسانية إلى المجهول دون أن تكترث بذلك، لأن الجشع أعمى البصائر، فانطلق الإنسان خلف سراب المصالح والمطامع، وهو لا يدرك بأنه يصنع نهايته المحتملة بيده.

المنظور الأخلاقي:

لعل من يقرأ الأرقام السالفة الذكر قد يتساءل من منطلق أخلاقي حول ما يحصل في العالم، وهو يستحضر الثنائيات الدينية والفلسفية المتداولة، كالخير والشر، الحق والباطل، الحرام والحلال، الجميل والقبيح، وهذا أمر لا مناص منه، لا سيما في مثل هذه المواقف التي تحدد حال الإنسانية ومآلها، وأي تهاون في التعامل مع الطبيعة والبيئة من شأنه أن يعجل بنهاية الإنسان، من جراء الأوبئة المجهولة والحروب الفتاكة والكوارث غير المتوقعة والآفات الشاذة، لذلك فإن الدين الإسلامي يُشيطن المبذرين ويعتبرهم إخوان الشياطين، والثقافة الشعبية تلقننا كيف نحترم النعمة ولا نلقي بها على الأرض أو في القمامات، أما الفلاسفة فإن منهم من يدعو إلى التصالح مع البيئة والعودة إلى الأرض بكونها الأصل والموئل، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى نظرية الفيلسوف الأخلاقي ألدو ليوبولد «أخلاقيات الأرض/ Ethic Land»، الذي يدعو إلى توسيع قاعدة الأخلاق لتشمل غير الإنسان، إذ يؤسس نظريته على مبدأ التفاعل مع الأرض والميل إلى الحفاظ على نزاهة واستقرار وجمال المجتمع الحيوي Biotic Community [10].

وما يسترعي الانتباه أن أغلب المبادرات الرسمية والمدنية المتعلقة بظاهرة الهدر الغذائي تتخذ طابع التطوع واللاإلزام، وتكاد تغيب هذه الظاهرة من الأجندات السياسية، وتفتقر إلى المساطر القانونية، ما يقتضي تفعيل الموروث الأخلاقي قصد سد هذا الفراغ القانوني والتنظيمي، وتشترك معظم الأديان والثقافات في رفض هذا التعامل الشاذ مع خيرات الطبيعة وعطاياها، بل وثمة من المعتقدات ما يقدس الماء والخبز وغيره من الأغذية، من الأكيد أن هناك بعض القوانين الزجرية في بعض الدول الغربية كهولندا وبلجيكا على سبيل المثال لا الحصر، التي تمنع إطعام الطيور والحمام، حيث تصل عقوبة كل من يطعم الحمام في الفضاءات العمومية بمدينة أونفيرس إلى ٢٥٠ يورو، غير أن هذا الإجراء القانوني لا يتعلق بمسألة هدر الغذاء في حد ذاتها، بقدر ما يستهدف حماية صحة الطيور [11].

إن المقاربة الأخلاقية لظاهرة الهدر الغذائي تنبني على تصور شمولي يأخذ بعين الاعتبار مختلف الأبعاد الاقتصادية والقانونية والبيئية، وذلك قصد ترشيد عملية الاستهلاك والتصالح مع البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية، وهذا من شأنه أن يساهم في إعادة التوازن في العلاقات الإنسانية، وفي النواميس التي تحكم الكون والوجود، لذلك فإن الحاجة أصبحت اليوم ملحة أكثر من ذي قبل إلى مدونة أو ميثاق أخلاقي يُعرّف بهذه الظاهرة الشاذة، ويدعو إلى تفادي أسبابها والتقليص من تداعياتها، عبر مختلف الآليات التربوية والإعلامية والدعوية والقانونية، التي تحسس بخطورة الهدر الغذائي على مستوى المدرسة والمسجد والشارع والإعلام.

الهوامش:

1_ FAO, Food waste harms climate, water, land and biodiversity, new FAO report, Rome, 11 September 2013

2_ 'Factsheet Voedselverspilling', ministerie van Landbouw, Natuur en Voedselkwaliteit, mei 2010, p. 2

3_ 'Taste the Waste', Boeddhistische Omroep Stichting, Nederland 2, 16 en 17 oktober 2012

4_ Factsheet Voedselverspilling, p. 1

5_ 'Think, Eat, Save', FAO, UNEP and partners launch global campaign on food waste, in: http://www.fao.org

6 ـ مفكرة الإسلام، «الفاو: هدر 16 مليون طن قمح سنويًّا في المنطقة العربية»، الأحد 14 أكتوبر 2012

7_ Nicholas Stern, 'The Economics of Climate Change', in: Climate Ethics, Essential Readings, Stephen M., ed., Oxford University Press, 2010, p. 39

8_ Ibid, p. 5

9_ Ibid, p. 6

10_ Baird Callicott, ed., 'Land Ethic', in: Encyclopedia of Environmental Ethics, vol. 2, J. and Robert Frodeman (Editors), Gale Cengage Learning, Macmillan Reference USA, 2009, p. 21

11_ 'Duiven en duiventillen', in: http://www.antwerpen.be/eCache/ABE/3/490.html

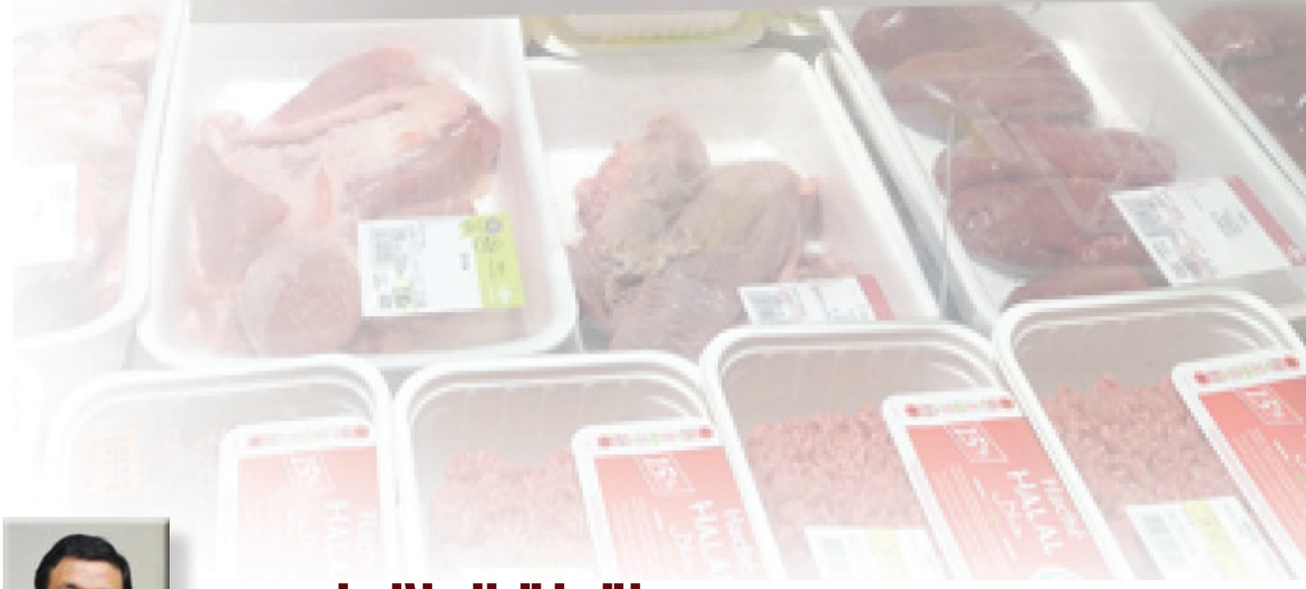

منتجات الحلال في الصين

وتبصرة المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام

إعداد: د. يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني

المحاضر بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

فهم دين الإسلام من الشباب المسلمين المعاصرين في الصين

إن فهم المجتمع الصيني المسلم المعاصر للإسلام يتطلب منا أن نرجع بأذهاننا إلى فترة الثورة الثقافية (١٩٦٦-١٩٧٦) وما قبلها وما بعدها. والمعلوم أن الثورة الثقافية ممثلة في الحزب الشيوعي برئاسة الرئيس الصيني الأسبق ماو تسي تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦)، قد وقفت موقف المعارضة والمعاداة والإنكار للدين والنظام الرأسمالي. والحزب الحاكم لم يكتف بفرض سيطرته على الجانب الاقتصادي فقط؛ بل بدأ تغيير هيكل المجتمع الصيني ثقافيا وعلميا واجتماعيا كما فرض تطبيق الفكر الماركسي في الاقتصاد. ونتيجة هذا الحكم الشيوعي والثورة الثقافية أصبح المسلمون كالأيتام، حيث أجبروا على الابتعاد عن مطالعة كتبهم الدينية كما حرموا من أداء شعائر الإسلام؛ بل أجبر أبناء المسلمين على دراسة الفكر الشيوعي تحت رعاية الدولة في المدارس الحكومية القائمة على الإلحاد، وإنكار الدين والغيبيات. والحكم الشيوعي على الرغم من انتهائه مع مجيء عصر «دنغ شياو بينغ» (الزعيم الصيني الأسبق ١٩٠٤-١٩٩٧)، إلا أن آثاره الإلحادية والعداء للدين استمرت بسبب عدم تغير هيكل التعليم والتربية. وبعد بدء عصر الانفتاح والاقتصاد (١٩٧٩) وسيولة الحركة المالية في المجتمع الصيني لم تختف آثار الثورة الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بأمة الإسلام في الصين؛ لأن معظم المسلمين وخاصة أولئك الذين تجاوز عمرهم الأربعين مازالوا يعيشون بنفس المبادئ والأصول التي تعلموها في المدارس والجامعات. إن التغيرات التي حدثت بعد الانفتاح الاقتصادي لم تغير حياة المسلمين الإيمانية أو السلوكية، كل ما في الأمر أنهم بدؤوا يعلنون إسلامهم وكونهم مسلمين كما كان يعلن أهل الديانات الأخرى وانتماءاتهم الدينية.

والمعلوم أن المسلمين في الصين وصل عددهم إلى ثلاثة وعشرين مليون نسمة، ومعظمهم من الشباب، وهؤلاء الشباب المسلمون لم يذوقوا مرارة الثورة الثقافية كما ذاق أجدادهم، ولم يتذوقوا جمال الإسلام وفضائله أيضا بسبب البيئة العلمية، والثقافية، والاجتماعية التي تحيط بهم، فإن فهم هؤلاء الشباب للإسلام صار ضيقا جدا بحيث انحصر في الامتناع عن أكل لحم الخنزير، وكونه مسلماً معناه «أني لا آكل لحم الخنزير»، أما عن أركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، وما يتعلق بالحلال والحرام في الكسب والإنفاق، وفي الزواج والطلاق، وفي فعل

الخير وترك الشـــر. فقد أصبحـــت كل هذه الأمور بعيدة عن تفكيرهم، وسلوكهم، وحياتهم الفردية والجماعية. وهؤلاء الشـــباب عندما ننظر إلى عامة الصينيين فهم كالقطرات في البحر، بحيث يعيشون مع غير المسلمين ، سواء في الجامعات أو في مراكز العمل، ويتعاملون مع هؤلاء دون أي ضابط ديني، سوى الابتعاد عن مشاركتهم في أكل لحم الخنزير. وهذه ظاهرة خطيرة تهدد مستقبل الإسلام والمســـلمين في الصين. فتعليم هؤلاء الشباب حقيقة الإســـلام، وتربيتهم بمبادئ الإســـلام، وأخلاقه، وترغيبهم في المحافظـــة على هويتهم الدينية في هذه الظروف التي يعيش فيها هؤلاء الشباب حقا أزمة ليس من السهل التغلب عليها.

أضف إلى ذلك، أحوال أمة الإســـلام الســـيئة، والوجه القبيح للمسلم، وسلوكياته في العالم الإسلامي وغير الإسلامي على حد سواء من خلال ما يحدث من عمليات انتحارية، وتفجيرات، واغتيالات داخل المساجد، والمدارس، والأســـواق دون تمييـــز بين الرجال والنســـاء، والشـــيوخ والأطفال، والأخضر واليابس باســـم الإسلام، الأمر الذي جعل العالم كله شرقا وغربا ينظر إلى الإسلام بأنه شر كله، وإلى المسلم بأنه رمز للإرهاب والهمجية.

جهود مؤسسة "الأمين الحيوية" في تبصرة المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام في الصين

إن فهم كثير من الشـــباب المســـلمين فـــي الصين بأن الإســـلام دين يحرم أكل لحم الخنزير، والمسلم من واجبه أن يمتنع عن أكل لحم الخنزير، وإن كان هذا جزئية صغيرة في الإســـلام؛ إلا أن الكاتب يرى اســـتغلال هذه الجزئية الصغيرة كمنفذ للاقتراب من الشـــباب، وكوســـيلة للتعريف بالإســـلام بصورته الكاملة. الشـــيخ الإمام حســـن بـــاي رون تشـــنغ (Bai Runsheng) أحد أئمة المســـلمين ممن يتصف بالفكر الثاقـــب، وعمق الفهم للإسلام، والخبرة الواسعة في حقل الدعوة، وله خدمة جليلة ومؤثرة ومفيدة في تبصرة الشـــباب المســـلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام، هو صاحب فكرة تأسيس «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي» للمنتجات الغذائيـــة المتصفة بالحلال الصافي، قبل أن نتكلم عن هذه الشـــركة لما تقوم بها من خدمات في اســـتخراج المواد الكيميائية الحـــلال بالطريقة الحلال بالتفصيل يود الكاتب التعريف بالشـــيخ الإمام حسن باي، ورأيه، والعوامل التي دفعت لإنشـــاء هذه الشركة الإسلامية.

الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng)

ولد الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) عام ١٩٦٤ في أسرة مسلمة مخلصة متدينة بمقاطعة خه نان (He Nan). وقد تربى على يد والده المخلص تربية إسلامية أصيلة منذ نعومة أظفاره. فأصبح شابا مسلما ذا طموح في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في الصين قبل التحاقه بالمعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببكين عام ١٩٨١. وقد تخرج في المعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببكين عام ١٩٨٦، ثم عيّن إماما راتبا رسميا في مسجد هوشي(Hu Xi) بشنغهاي (Shang Hai) بعد التخرج إلى الآن. وحضر إلى الأزهر الشريف للمشاركة في دورة تدريب الأئمة عام ١٩٩١، وهو عضو بارز من أعضاء المؤتمر الاستشارى السياسى بشنغهاي، ومستشار لـ «شركة الأمين الحيوية» بشنغهاي.

وقد اتخذ الشيخ الإمام حسن باي المسجد مركزا لنشر الدعوة الإسلامية في شنغهاي التي تعد من عواصم الاقتصاد والمال الدولية، ويلتقي بها كبار رجال الأعمال العالميين، ويصعب على المسلمين العوام بقاؤهم في هذه المدينة الاقتصادية والمالية الدولية. وقد أصبحت هذه المدينة مركزا مهما ينطلق منها التبشير المسيحي. وقد استطاع الشيخ الإمام حسن باي أن يتخذ منبر هذا المسجد وسيلة لجلب الطلاب المسلمين الجامعيين، ورجال الفكر والسياسة والمال من المسلمين الصينيين والوافدين إليها من الإخوة العرب والمسلمين. وقد استطاع بحكم وظيفته، ومكانته العلمية، وثاقب فكره، وسعة خبرته أن يوطد علاقة قوية ومتينة مع رجال الأعمال، ورجال الدين من المسيحيين والبوذيين والطاوين والكنفوشيوسيين وغيرهم. وكان من أهم آرائه لإعادة نهضة الأمة الإسلامية دعوته إلى الجمع بين التراث والمعاصرة؛ إنه يرى أن فشل أمة الإسلام، وتخلفها في العالم سببه عدم وجود هذا التلقيح؛ لأنه يقول: إن التراث المتمثل فيما أنتجه علماؤنا السلف، وأئمتنا الأجلاء فى ضوء القرآن والسنة لا بد أن نفهمه ونتمسك به، ونستفيد منه؛ لكن الأمور المتجددة، وخاصة فيما يتعلق بالتقنية الحديثة، والتكنولوجيا المتنوعة؛ فلا بد من معرفتها، وإتقانها، والاستفادة منها لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال الضوابط التي وضعها أئمتنا من السلف الصالح؛ لكن للأسف الشديد نحن إلى وقت قريب حصرنا فهم الإسلام والتعامل معه في دائرة التراث فقط، ولذلك أصبحنا خارج دائرة صُنّاع القرار، وقادة العصر الحديث، وبالتالي أصبحنا معزولين عن العالم الحديث، وصرنا من التابعين لغير المسلمين، والمستهلكين لما ينتجون. وهذا الجانب السلبي هو الذي جعل الشيخ الإمام حسن باي يفكر في تأسيس شركة لتنقية الحلال من المستخرجات الحيوانية مما أحله الله، وبما أحله الله، ومن هنا تولدت «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي».

شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي. (Shanghai Al-Amin Biotech Co,. Ltd)

يقول الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) عن سبب نشأة هذه الشركة: لقد آلمني كثيرا ما رأيت من غزو المنتجات الغذائية التي تتكون من مواد مستخرجة من الخنزير، فمعظم المواد الغذائية الموجودة في الأسواق الصينية والمصدرة منها إلى الأسواق العالمية كانت مختلطة بمادة الجلاتين (gelatin) المستخرج من الخنزير. والخنزير بالنسبة للصين والصينيين يعتبر عنصرا مهما لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، والصينيون يفتخرون بهذا الحيوان للانتفاع منه من رأسه إلى قدمه، ومن جلده إلى دمه، ولحمه وعظمه. والمسلمون الصينيون ربطوا الإسلام فقط بالامتناع عن أكل لحم الخنزير كما أشار الكاتب سابقا، وهم لا يعرفون دخول هذا الخنزير بأشكال مختلفة، وبألوان مختلفة في المواد الغذائية والتجميلية والطبية وغيرها من المواد المستهلكة، يقول الشيخ الإمام حسن باي: إن تحذير المسلمين من استخدام هذه المواد الغذائية وغيرها ليس أمرا سهلا، فإن طلب مقاطعة هذه المنتجات بحجة وجود المواد المحرمة قد يصبح تحديا للحكومة وللشركات المنتجة لها، وأيضا حصر هذه المنتجات ليس أمرا سهلا. فإقناع المسلمين بوجود المواد المحرمة في داخل المنتجات أيضا ليس أمرا سهلا، ففكرت في إيجاد بديل يغزو أسواق المواد الغذائية، ومنتجات التجميل، والمواد الأخرى، وقد أكرمني الله بالتعرف على بعض الشباب المسلمين المتخرجين من الجامعات في تخصص العلوم الكيميائية والبيولوجية على مستوى الماجستير والدكتوراه، وبعد توطيد العلاقة بهؤلاء، وإقناعهم بضرورة إنشاء معمل خاص لاستخراج مادة الجلاتين (gelatin) من الأبقار والأغنام بطريقة الحلال، وبفضل من الله رضي

هؤلاء الشباب بهذه الفكرة، ووافقوا على التعاون معي لتأسيس هذا المعمل بعد أن استقالوا من وظائفهم المرموقة في الشركات مضحين برواتبهم العالية حبا للإسلام وخدمة للمسلمين، وقد تحقق قوله تعالى: [إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً]سورة الكهف: ٣٠، فبالرغم من أهمية هذا المشروع وخطورته احتاج المشروع إلى رأس مال كبير، وحكمة وسياسة رشيدة لإقناع المسؤولين المعنيين في الحكومة بفتح هذا المعمل، فالله سبحانه وتعالى كلل جهودنا بنجاح حيث انضم إلينا مسلمان ثريان بمليونين وخمسمائة ألف رين مين بي (العملة الصينية- تعادل حوالي مائتين وعشرة آلاف دولار أمريكي في وقته) من مالهما الخاص لفتح المشروع دون أن يفكرا في أي ربح مادي سوى رضا الله وخدمة المسلمين، ومن هنا تم فتح المعمل الكيميائي باسم «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي» عام ٢٠٠٣.

وقد أصبحت الآن هذه الشركة تنافس الشركات الصينية الأخرى في هذا المجال. وهذه الشركة عالية في التقنية لتطوير، وإنتاج، وبيع سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال في الصين بعد ما يقرب من عشر سنوات من الدراسة والتطوير في مجال المنتجات البيولوجية. وتركز الشركة على الاهتمام بالدراسة، وصناعة المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية، وقد تراكمت لديها ثروة من الخبرة في إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية.

المنتجات الأساسية لـ «شركة الأمين الحيوية» هي سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال، والمنتج البيولوجي الذي يدعى حلالا يجب أن يستوفي شرطين: الشرط الأول هو أن المواد الخام يجب إن تتوافق مع متطلبات الشريعة الإسلامية حيث أن المواد الخام التي أخذت من الخنازير ممنوعة منعا باتا. المواد الخامة التي أخذت من الأبقار والأغنام أيضا تمنع منعا باتا إذا لم يتم ذبح الحيوان بطريقة إسلامية. الشرط الثاني هو أنه لا يمكن أن يضاف المنتج غير الحلال أثناء عملية الصناعة. لذا قد كسبت سلسلة «الأمين» للمنتجات البيولوجية الحلال نجاحا كبيرا في المناطق الإسلامية التقليدية مثل: جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط. نظرا لوجود ٥٦ دولة ومنطقة منتمية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي(OIC)، ولكثرة المسلمين في العالم بما وصل إلى ١,٥ مليار من المستهلكين أصبح للمنتجات الحلال سوق عالمي كبير. ومنتجات الشركة المتميزة بحلالها مثل: الهيبارين من أبقار وأغنام (heparin) قد وجدت رواجا كبيرا في أسواق مصر، وماليزيا، وهلم جرا. المنتجات الأساسية الكولاجين الحلال (collagen) وشوندروتن كبريتات (chondroitin sulphate) الحلال والجلوكوزامين (glucosamine) .

قد احتلت المنتجات الحلال نصف سوق جنوب شرق آسيا، والمنفحة الحلال من العِجل (cattle rennin) وصلت بنجاح إلى أسواق إيران وتركيا. فنظرا لرغبة كثير من المسلمين وغير المسلمين لمعرفة المنتجات الحلال، وجودتها العالية، تحاول «شركة الأمين» أن تكثر من سلسلة المنتجات الاستهلاكية الحلال في أسواق العالم على نطاق أوسع.

إن صناعة المنتجات البيولوجية الحلال هي صناعة التكنولوجيا الفائقة الخاصة، التي تعتمد ليس فقط على قدرة قوية للحصول على المواد الخام حلالا؛ ولكن أيضا على قدرة إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية. «التركيز على التكنولوجيا الأساسية، وتعزيز صناعة المنتجات البيولوجية الحلال» يعتبران من شعار «شركة الأمين الحيوية». إن الصين دولة مهيمنة على صناعة المنتجات الحيوانية والكيميائية الحيوية؛ ولكن معظم المصانع في الصين تستخدم المواد الخام التي أخذت من الخنازير. وكانت «شركة الأمين الحيوية» منذ تأسيسها تسعى إلى التحسين التكنولوجي والابتكاري في استبدال المواد الخام الحلال ، وقد حصلت «الأمين الحيوية» على ٧ براءات اختراع وطنية بحيث لا أحد يقدر أن يزوّرها أو يتلاعب بها بعد أن صارت هذه المنتجات خاصة بهذه الشركة، هذا في حد ذاته انتصار لرفع شعار الحلال على المنتجات غير الحلال في الأسواق الكبيرة.

الكاتب يتمنى مزيدا من الازدهار والانتشار لهذه الشركة داخل الصين وخارجها، وعلى الدول الإسلامية والشركات الإسلامية التي تعتني بالحلال أن تتعاون مع هذه الشركة في ترويج المواد الحلال في الأسواق العالمية، وتوعية المسلمين بضرورة التأكد من الحلال عند شراء ما يستهلكون، أينما كانوا لتبرئة أنفسهم من الوقوع في الحرام والشبهات. والشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) يتخذ منبره أينما ذهب داخل الصين وخارجها للحديث عن الحلال بدءا من المنتجات الحلال إلى التعريف بالحلال والحرام في الإسلام حيث جعل قضية الحلال في التغذية فرصة للتحدث عن الإسلام أمام الآخرين مسلمين وغير مسلمين؛ لأن الحرام والحلال ليس محصورا في الأكل والشرب فقط.

مسجد الأمير عبد القادر - الجزائر